



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: /.....

رقم تسجيل الطالب: UN2801202525044103015

النخب المغاربية ومشروع الجامعة الإسلامية 1919-1900

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

تحت إشراف

د. جمال عطابي

إعداد الطالبة:

كلثوم غرابي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	المؤسسة الجامعية	الرتبة العلمية	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	استاذ التعليم العالي	ا د صالح منى
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	استاذ محاضر - ب -	د. جمال عطابي
ممتحنا	جامعة المسيلة	استاذ التعليم العالي	ا د امال معوشي

السنة الجامعية: 1448/1447 هـ - 2026/2025 م

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): كلثوم غزالي

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دأمر): حاليا

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 100926718

الصادرة بتاريخ: 2016/09/26 عن دائرة: مسيلة

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الفن العربي المعاصر تحت رقم التسجيل: 2801201525044103015

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

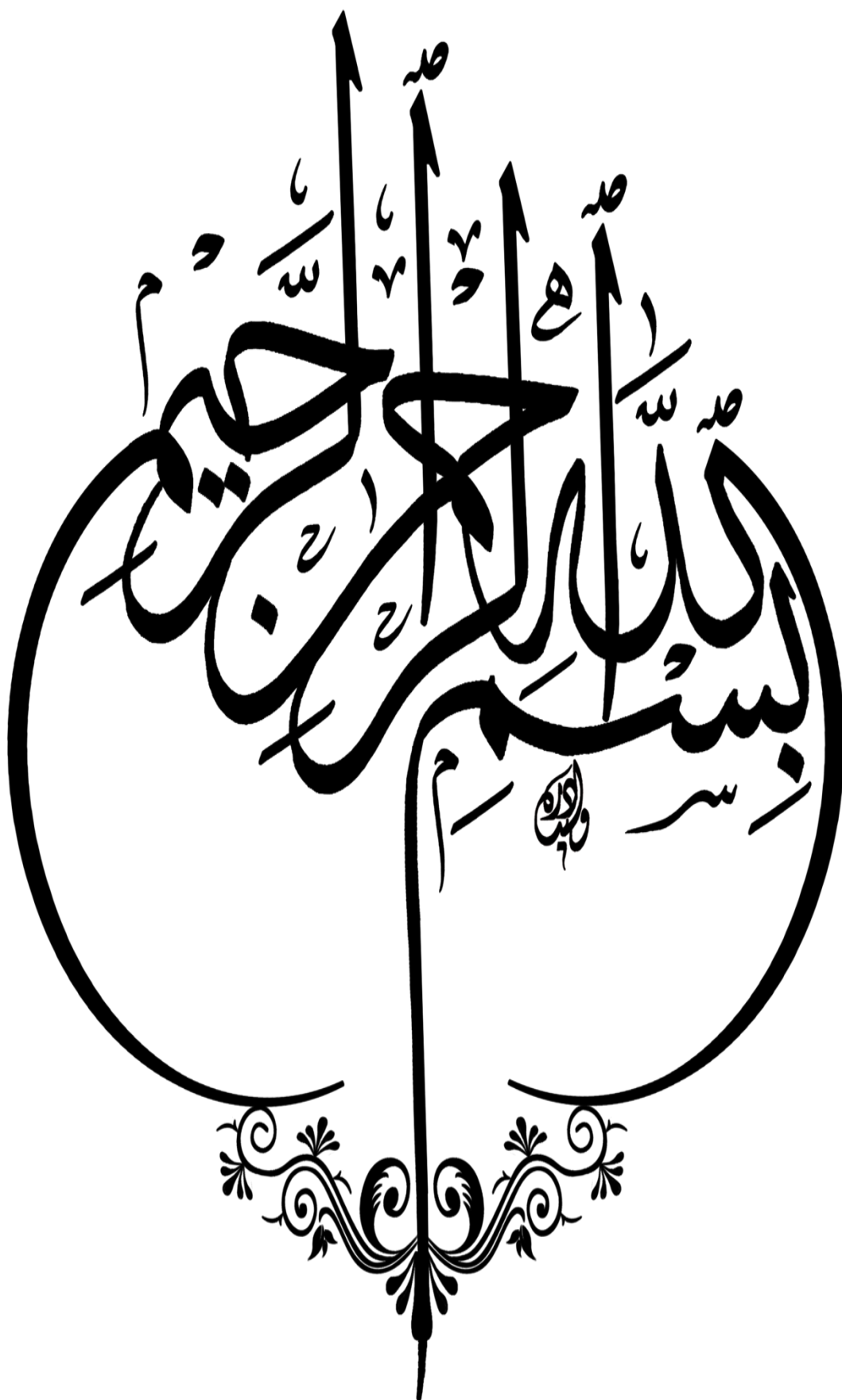
عنوانها: النخب الفكرية بين واطاعة الإسلام 1900 - 1919

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة
الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعني (ة): [Signature]

المرجع، القرار الوزاري رقم، 933 المؤرخ في، 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.



شكر وفلاح

قال تعالى: "ولئن شكرتم لأزيدنكم"

لا سيغنى في هذا المقام إلى أن أحمد الله وأشكره على أن وفقني
وكان ملجئي في السراء والضراء فله الحمد أولا وآخرا.

وأوجه بالشكر والإيمان للأساذ المشرف المحترم جمال عطابي

على قبوله الإشراف على هذه المدركة

كما نشكر لجنة المناقشة الفاضل على مناقشتهم هذا العمل المنواضع

وفي الأخير أتوجه بجزيل الشكر

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

في إنجاز هذا العمل المنواضع

ولو بالكلمة الطيبة .

اهداء

الحمد لله الذي ما تم جهد إلا بعونه وما ختم سعي إلا بفضل
أهدي هذا العمل إلى من الجنة تحت قدميها
إلى من كان دعائها سر نجاحي إلى بسمه الحياة وسر
الوجود إلى أمي الغالية حفظها الله وأطال في عمرها.
إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه
إلى أبي الغالي أطال الله في عمره وأدامه تاجا فوق رأسي
إلى روح أخي الغالي خير الدين رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى
إلى من جعلهم الله لي ذخرا في هذه الحياة يا من
شاركتموني في أفراحي وأحزاني
اخوتي الأعزاء: نوال، هدى، سيفه الدين، ضياء الدين
إلى زوجة أخي سارة إلى براعم العائلة:
رهف، نوح، عبد الرؤوف، ترتيل، عبد الفتاح.
وإلى كل من ساهم في إتمام هذا البحث.

قائمة المختصرات:

ص: الصفحة

ج: الجزء

ط: الطبعة

مج: مجلد

تر: ترجمة

تح: تحقيق

تع: تعليق

تق: تقديم

د.ط: دون طبعة

م: تاريخ ميلادي

هـ: تاريخ هجري

د.م: دون مكان للنشر

د.ن: دون ناشر

د.ت: دون تاريخ

مقدمة

مقدمة

شهد العالم الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات عميقة مست مختلف الجوانب السياسية والفكرية والحضارية، وذلك نتيجة تزايد التغلغل الاستعماري الأوروبي وتراجع قوة الدولة العثمانية، الأمر الذي أدخل المجتمعات الإسلامية في حالة من القلق حول مصيرها السياسي والثقافي. وفي ظل هذه الأوضاع، برزت مجموعة من النخب الفكرية والدينية والسياسية التي سعت إلى تشخيص أسباب الضعف والتخلف، واقتراح مشاريع إصلاحية تهدف إلى حماية العالم الإسلامي من التفكك والهيمنة الأجنبية.

ومن بين أبرز المشاريع الفكرية التي ظهرت في تلك المرحلة، تبلورت فكرة "الجامعة الإسلامية" كأيديولوجيا دفاعية ومشروع سياسي وحضاري، قامت على الدعوة إلى توحيد المسلمين وتقوية روابط التضامن بينهم لمواجهة الأخطار الخارجية، خاصة الاستعمار الأوروبي. وقد ارتبط انتشار هذه الفكرة بظهور نخب إصلاحية استمدت جذورها الفكرية من طروحات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتبناها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني كسياسة رسمية لدولته لتوحيد المسلمين تحت راية الخلافة، وقد لعبت هذه النخب دوراً محورياً في نقل الأفكار الجديدة وتوجيه الرأي العام، سواء في المشرق أو في المغرب العربي، حيث ساهمت مؤسسات علمية كجامع الزيتونة وجامعة القرويين في تكوين جيل من العلماء والمفكرين الذين تأثروا بخطاب الإصلاح والوحدة الإسلامية.

ولم تكن أقطار المغرب الإسلامي (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ليبيا) بمعزل عن هذا الحراك. فمع حلول عام 1900، كانت النخب المغاربية — المكونة من علماء الزيتونة والقرويين، ورواد الصحافة، والزعماء السياسيين — تعيش مخاضاً فكرياً عميقاً. ورغم التباين في الأوضاع القانونية للاستعمار (احتلال استيطاني في الجزائر، حماية في تونس ثم المغرب الأقصى عام 1912، وغزو إيطالي لليبيا عام 1911)، وجدت هذه

النخب في "الجامعة الإسلامية" ملاذاً روحياً وإطاراً سياسياً لمقاومة مشاريع التغريب والاحتلال.

تكتسي الفترة الممتدة من (1900 إلى 1919) أهمية تاريخية بالغة الدقة؛ فقد شهدت هذه المرحلة تفاعلاً عملياً للنخب المغاربية مع قضايا الخلافة، تجلى في الدعم المالي والسياسي العام إبان الغزو الإيطالي لليبيا (1911) وحرب البلقان (1912). ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914) وإعلان شيخ الإسلام في إسطنبول "الجهاد المقدس"، انقسمت النخب المغاربية بين مؤيد للنداء العثماني (مثل حركة علي باش حامبة في تونس، وسليمان الباروني في ليبيا)، وبين من أجبرتهم الظروف الاستعمارية على المهادنة.

ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى الإسهام في فهم جانب مهم من تاريخ الفكر السياسي والإصلاحي في المغرب العربي الحديث، عبر إبراز العلاقة بين فكرة الجامعة الإسلامية وبين تشكل الوعي النخبوي المغربي في لحظة تاريخية اتسمت بتشابك أسئلة الهوية والإصلاح والوحدة والتحرر.

أولاً: إشكالية البحث

بناءً على المعطيات التاريخية السالفة الذكر، تتبلور الإشكالية المركزية لهذه الدراسة في التساؤل الجوهري الآتي:

- كيف تفاعلت النخب المغاربية مع فكرة مشروع الجامعة الإسلامية خلال الفترة 1900-1919، وما أثر هذه الفكرة في الحركات الإصلاحية والمقاومة في بلدان

المغرب العربي؟

وللاحاطة بهذه الإشكالية، نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

1. كيف نشأت الجامعة الإسلامية، ومن هم أبرز روادها؟
2. من هي أبرز الرموز والتيارات التي شكلت "النخبة المغاربية" في مطلع القرن العشرين؟ وما هي القنوات التي ربطتها بحركة الجامعة الإسلامية؟

3. كيف تجلى تأثير الجامعة الإسلامية عملياً وميدانياً في الموقف المغربي من الغزو الأوروبي؟

4. ما هي الانعكاسات الفكرية والسياسية لهزيمة الدولة العثمانية على إعادة تشكيل الوعي السياسي المغربي وانتقاله من إطار "الأمة الإسلامية" إلى إطار "الوطنية القطرية"؟

ثانياً: أهمية الموضوع

تتبع أهمية هذا الموضوع من كونه يسلط الضوء على مرحلة مفصلية من تاريخ الدولة العثمانية، وعلى سياق تاريخي وفكري شهد تبلور فكرة الجامعة الإسلامية خلال القرن التاسع عشر. فقد مثلت الجامعة الإسلامية آنذاك نموذجاً مميزاً وشعاراً عملياً اكتسب حضوراً واسعاً في الوعي الإسلامي، وعلقت عليه كلُّ من الخلافة العثمانية وقطاعات كبيرة من الشعوب الإسلامية آمالاً كبيرة في تعزيز معاني الوحدة والأخوة والتضامن بين المسلمين عبر مختلف الأقطار.

وتزداد أهمية الموضوع أيضاً لأن تيار الجامعة الإسلامية لم يقتصر على البعد السياسي أو الرمزي، بل ارتبط بمشروع أوسع سعى إلى إحداث إصلاح شامل يمسّ بنية الدولة والمجتمع، من خلال الدعوة إلى إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية، بل وحتى الثقافية. وعليه فإن دراسة هذا التيار تُعد مدخلاً ضرورياً لفهم كيفية تفاعل العالم الإسلامي مع تحديات العصر الحديث، وآليات مواجهة التغلغل الاستعماري، ومحاولات إعادة بناء المشروع والوحدة في زمن التحولات الكبرى.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع

الاهتمام الشخصي بالتاريخ الفكري والسياسي، وفهم الجذور الحقيقية للحركة الوطنية المغربية التي ولدت من رحم خيبات الأمل التي أعقبت الحرب العالمية الأولى.

رابعاً: المنهج المتبع

لمقاربة هذه الإشكالية والإجابة عن تساؤلاتها، وبناءً على طبيعة الموضوع المتداخلة بين الحدث السياسي والتطور الفكري، اعتمدنا على مقاربة منهجية متكاملة شملت:

• **المنهج التاريخي** وهو المنهج الأساسي الذي اعتمدنا عليه لنتبع التسلسل الزمني للأحداث الممتدة من 1900 إلى 1919، ورصد الوقائع وتوثيقها وفق سياقها الزمكاني.

• **المنهج التحليلي** تم توظيفه في تحليل مضامين المقالات الصحفية، والرسائل، والعرائض التي صاغتها النخب المغاربية، لتفكيك بنيتها الفكرية واستنتاج التحولات الأيديولوجية من الارتباط العثماني إلى التوجه الوطني.

خامساً: خطة الدراسة

للإجابة على الإشكالية المطروحة ومعالجة التساؤلات المتفرعة عنها، اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على خطة بحث متوازنة تتكون من ثلاثة فصول رئيسية، تسبقها مقدمة وتتوجها خاتمة، وقد جاءت مقسمة على النحو الآتي:

خُصص الفصل الأول للإطار المفاهيمي والتاريخي للجامعة الإسلامية، من خلال التطرق إلى مفهوم النخب في الدراسات التاريخية والسياسية وتعريف الجامعة الإسلامية ونشأتها الفكرية كما عرضنا رواد فكرة الجامعة الإسلامية وأهدافها لندرس بعدها أوضاع العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين، وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني في دعم الجامعة الإسلامية، ثم التغلغل الاستعماري في المغرب العربي وأثره في النخب. أما **الفصل الثاني** فقد تناول النخب المغاربية وموقفها من الجامعة الإسلامية، من خلال تحديد طبيعة هذه النخب، ثم تحليل مواقف التأييد والتحفظ ووسائل نشر الفكرة. في حين جاء **الفصل الثالث** ليدرس أثر الجامعة الإسلامية على الحركات الإصلاحية والمقاومة، سواء من خلال تأثير الفكر الإصلاحي الإسلامي، أو من خلال دور الفكرة في تعبئة الشعوب ومقاومة الاستعمار، ثم بيان حدود هذا التأثير وتراجعته بعد الحرب العالمية الأولى.

وأخيراً، ننهي هذه الدراسة بخاتمة شاملة تتضمن حوصلة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال فصول البحث، مع تقديم إجابات مركزة على الإشكالية المطروحة، والإشارة إلى بعض الآفاق البحثية التي يمكن البناء عليها في دراسات تاريخية مستقبلية.

سادساً: الحدود الزمانية والمكانية

ومن حيث الحدود الموضوعية والزمنية والمكانية، تنحصر هذه الدراسة في بحث موقف النخب المغاربة من الجامعة الإسلامية وأثرها في الحركات الإصلاحية والمقاومة، خلال الفترة الممتدة من 1900 إلى 1919، أي منذ تبلور حضور الفكرة بشكل واضح في الفضاء المغربي في ظل السياسة الحميدية والامتداد الإصلاحي المشرقي، إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية التحولات الكبرى التي ستقود إلى تراجع الجامعة الإسلامية سياسياً وصعود الاتجاهات الوطنية المحلية. أما المجال المكاني فيشمل بلدان المغرب العربي الأربعة: الجزائر، تونس، المغرب، وليبيا.

سابعاً: المصادر والمراجع

اعتمدت هذه الدراسة على قائمة متنوعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، بما ينسجم مع طبيعة الموضوع وإشكالياته الفكرية والتاريخية. ففي مقدمة المصادر ورد القرآن الكريم بوصفه المرجع الأساس في تأصيل مفاهيم الوحدة والأمة والإصلاح، إلى جانب بعض المصادر التراثية المتمثلة في لسان العرب لابن منظور لضبط بعض المصطلحات، وسنن أبي داود وصحيح مسلم للاستئناس بالأحاديث ذات الصلة، ومختصر تفسير الطبري لفهم بعض الدلالات القرآنية المرتبطة بموضوع الدراسة.

كما اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر الأصلية والكتابات المعاصرة التي تمثل مادة أساسية لفهم فكرة الجامعة الإسلامية وتطورها، ومن أبرزها كتابات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وسلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته السياسية، إضافة إلى مؤلفات عبد العزيز الثعالبي، ومحمد الطاهر بن

عاشور، ومحمد الطاهر الزاوي، وعلي عبد الرزاق، ومحمد إقبال، وهي نصوص مكّنت من تتبع تطور الخطاب الإصلاحى والوحدوى من داخل المرحلة نفسها.

أما على مستوى المراجع، فقد تم الاعتماد على جملة من الدراسات العربية الحديثة التي عالجت تاريخ المغرب العربي والفكر الإصلاحى والجامعة الإسلامية، ومن أبرزها أعمال أبو القاسم سعد الله، وعبد القادر زبّادى، وعبد الله العروى، وألبرت حوراني، وأحمد عبد الرحيم مصطفى، وأحمد نوري النعيمي، وتركى رابح، والحبيب بوعصيدة، وعبد الرحمن الرافعى، ومحمد عمارة، إلى جانب عدد من المقالات العلمية والرسائل الجامعية التي أفادت في استكمال الجوانب المتخصصة للموضوع.

وقد أسهم هذا التنوع في المصادر والمراجع في إضفاء قدر من التوازن المنهجي على الدراسة، من خلال الجمع بين النصوص الأصلية، والدراسات التاريخية، والتحليلات الفكرية المعاصرة.

ثامنا: صعوبات البحث

كأي بحث تاريخي يتعامل مع فترة حساسة وممتدة جغرافياً، واجهتنا مجموعة من الصعوبات:

- تشعب الرقعة الجغرافية والسياسية التعامل مع أربعة أقطار مغربية، لكل منها سياقه الاستعماري الخاص، ما تطلب جهداً كبيراً في التوفيق والربط.
- طبيعة النشاط السري بسبب القمع الاستعماري، كانت العديد من نشاطات النخب المغربية الداعمة للجامعة الإسلامية (مثل جمع التبرعات أو تجنيد المتطوعين) تتم في السر، مما يجعل التوثيق المادي لها أمراً بالغ الصعوبة ويفتقر في بعض الأحيان إلى المصادر المباشرة، مما يحتم الاعتماد على مذكرات لاحقة قد تشوبها الذاتية.
- تعدد المراجع وتشابه معلوماتها.

الفصل الأول:

الإطار المفاهيمي والتاريخي

للجامعة الإسلامية

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي للجامعة الإسلامية

تمهيد

شهد العالم الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تحولات جذرية، تمثلت في تراجع قوة الدولة العثمانية وتصاعد الهجمة الاستعمارية الغربية. وفي مواجهة هذا الخطر الوجودي، برزت فكرة "الجامعة الإسلامية" كمشروع نهضوي ودفاعي يهدف إلى توحيد صفوف المسلمين، وهو المشروع الذي حملت لواءه وروجت له فئة من المفكرين والسياسيين الذين عُرفوا بـ "النخب".

المبحث الأول: مفهوم النخب والجامعة الإسلامية

أولاً: مفهوم النخب

01 . مدخل إشكالي

فمصطلح "النخبة" شهد تحولات مهمة عبر الزمن، وتعددت تعريفاته بتعدد المدارس الفكرية والسياقات الحضارية التي استخدمته. تقتصر على النخبة السياسية الحاكمة أم تمتد لتشمل أيضاً النخب المنتجة للمعنى والشرعية من علماء وصحافيين ومصلحين.¹

02 . الدلالة اللغوية لمفهوم النخبة:

في اللغة العربية، تدور مادة "نخب" حول معنى الاختيار والانتقاء يقول ابن منظور: "نخبة القوم وخيارهم: المنتقون منهم"². وهذا المعنى اللغوي يمهد لفكرة أن المجتمع ليس كتلة متجانسة، بل ثمة فئات تتميز بصفات معينة تمنحها مكانة خاصة.

فإن الدراسات الحديثة تجاوزت هذا المعنى اللغوي إلى ضبط المفهوم بمعايير وظيفية وتحليلية أكثر دقة ومنهجية.

03 . النخبة في الدراسات التاريخية:

شهدت الكتابة التاريخية تحولاً منهجياً مهماً في التعامل مع النخب:

- الكتابة التاريخية الكلاسيكية كانت تركز على "الرجال العظام" سلاطين، وزراء، قادة عسكريون.

¹ عبد الإله بلقزيز، الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002، ص 46.

² ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت، مادة "نخب".

- أما المناهج الحديثة (التاريخ الاجتماعي، وتاريخ الفكر، وتحليل الشبكات) فنتجاوز ذلك نحو دراسة الفئات الاجتماعية وبنى التأثير، عبر:
- البروسوبوغرافيا: أي السيرة الجماعية لفئة من الأفراد (علماء/قضاة/صحافيون) لتحديد سماتها المشتركة وشبكات ومساراتها المهنية.¹
- تحليل الشبكات: كيف تصنع الرحلات العلمية والحج والبريد والصحافة شبكات نخبوية عابرة للحدود؟
- التاريخ الفكري وتاريخ المفاهيم: كيف تُصاغ الأفكار وتنتقل وتتكيف في سياقات مختلفة؟

وهذا المنهج ضروري بشكل خاص في دراسة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، لأن جزءاً كبيراً من أثرها لم يتجلّ في قرارات دول بل في شبكات علماء وطلاب ربطوا الزيتونة بالأزهر، والقرويين بالمشرق، عبر الإجازات العلمية والمراسلات والصحافة.² وقد جاء تعريف النخبة من خلال وجيه كوثراني كالتالي:

- النخبة: فئة اجتماعية محدودة العدد نسبياً، تتحدد وظيفياً بامتلاكها موارد تأثير قابلة للتحويل إلى فعل عام، سواء أكانت هذه الموارد موقعاً مؤسسياً أم شرعية دينية أم معرفة متخصصة أم شبكة اتصال أم قدرة على الخطاب والإقناع، وتمارس دوراً في توجيه القرار أو تشكيل الرأي العام أو إنتاج الشرعية أو نقل الأفكار وتكييفها.³

ثانياً: تعريف الجامعة الإسلامية ونشأتها الفكرية

01- تعريف الجامعة الإسلامية:

تعد من الحركات التي اهتمت بالإصلاح ما عرف الجامعة الإسلامية أو "الحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة" أو "المشروع التحرري الحديث"، فلم يستقر رأي مؤرخي الفكر الإسلامي على مصطلحات محددة لها، والجامعة الإسلامية تشمل حركات متعددة، ومصلحين فرادى ومفكرين متعددين لا تربط بينهم رابطة أو نظام .

¹ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، د.ت، ص 17.

²أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1998، ج1، ص65.

³وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988، ص 119.

أن شعار الجامعة الإسلامية، كان من الشعارات التي عرفها الشرق في نهاية القرن التاسع التاسع عشر وهناك عدة تيارات حملت نفس الشعار، لكن بمنطلقات غير متحدة، ولأهداف متعددة، وإن جمعت بينها بعض القسمات والغايات، جعل أصحابه يعتقدون أن الجامعة الإسلامية تيار واحد وليس عدة تيارات. لذلك نجد اختلافا كبيرا بين مؤرخي الفكر الإصلاحي في تحديد مفهوم الجامعة الإسلامية.¹

وقد تعددت معاني الجامعة الإسلامية إذ تعتبر الوحدة أو القومية الإسلامية أو الأخوة الإسلامية، وقد عرّفها لوثرروب ستودارد في كتاب حاضر العالم الإسلامي بقوله أنها: الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي الشعوب لوحدة العامة وعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي.²

وقد جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى: " فقد استمسك بالعروة الوثقى"، قوله فقد تمسك واعتصم بالإيمان الذي هو أوثق ما تمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه لا انفصام لها لا إنكسار لها ولا انقطاع.³

ويقول الدكتور محمد عمارة " إن دعوة الجامعة الإسلامية تعني أن للمسلم إنتماء إسلاميا يحدد هويته وهوية الكيان السياسي والحضاري الذي يمنحه الولاء".⁴

وتجَلَّتْ فكرة الوحدة تحت راية الإسلام في المؤاخاة بين الأوس والخزرج بعد الهجرة، وعبر بناء نظام اجتماعي يتسم بالعدالة والمساواة، وجاءت من بعدها فكرة الخلافة الإسلامية

¹ منى صالح: الجزائريون وحركة الجامعة الإسلامية (1876-1930)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر تحت إشراف الدكتور أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2015-2016، ص 18-19.

² لوثرروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تر: شكيب ارسلان، ج1، ط2، دار الفكر، 1925م، ص 288.

³ محمد بن جرير الطبري، مختصر تفسير الطبري، مكتبة رحاب الجزائر، ط 2، 1987، ص 82.

⁴ محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني، المفترى عليه، ط1، دار الشروق القاهرة، بيروت، 1984، ص 161.

الراشدة حيث تمسك الخلفاء الراشدين بمبدأ وحدة وجماعة الأمة، وظهر أثر ذلك في حروب الردة¹.

واستنادًا إلى هذه المكانة بدأ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بطرح فكرة الجامعة الإسلامية بشكلها العصري بما يتناسب مع المتغيرات الجديدة التي طرأت على العلاقة بين العالم الإسلامي والقوى الغربية، ثم النظام العالمي².

يستخدم مصطلح الجامعة الإسلامية بمعان متداخلة والبعض يساوي بين المفاهيم سابقة الذكر في حين أن البعض الآخر يفرق بينهما على أساس أن الجامعة هي سبيل الوحدة، وهذا يدل على عدم استقرار وتثبيت تعريفات هذين الاصطلاحين نتيجة تفاوت آراء ووجهة نظر المؤرخين والمفكرين³.

وقد أخذت تعريفات الجامعة الإسلامية تتطور متماشية مع تطور الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بالمجتمع الإسلامي والفهم المتجدد لها ودورها فكانت تعريفات جل المؤرخين وعلماء السياسة تجمع بين الجانب الفكري والجانب السياسي، فحصل نوع من الإجماع على اعتبار أن الجامعة الإسلامية تعني في الأساس ذلك التيار الفكري والسياسي الذي أبصر قاداته وأنصاره أن هناك عددًا من التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي والشعوب والأمم الإسلامية سواء أكانت تلك التحديات آتية من داخل العالم الإسلامي كالتخلف الفكري والروحي والانحدار الحضاري والصراعات السياسية والقبلية⁴.

¹ حروب الردة: هي حروب وقعت في أواخر العام العاشر الهجري بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبداية عهد سيدنا أبو بكر الصديق، حيث شهدت دولة الإسلام حركة ارتداد على الإسلام كدين وحكم المدينة كقوة سياسية، فمن العرب من منع الزكاة، ومنهم من ادعى النبوة. للمزيد عن أحداث الردة وموقف سيدنا أبو بكر رضي الله عنه منها ينظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني (ت- 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، ط1، 1983م، ج15، ص 309.

² عبدالرزاق أحمد السنهوري: فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، تح: توفيق محمد الشاوي، نادية عبدالرزاق السنهوري، دار الرسالة ناشرون، بيروت، ط4، 2000م، ص ص 21. 22.

³ فاطمة الزهراء رحمانى: الجامعة الإسلامية بين السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدينة، الجزائر، 2015م، ص 9.

⁴ محمد عمارة: الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1994م، ص 50.

الجابري أرجع مشروعات النهضة العربية منها الجامعة الإسلامية أو ما يسميه بـ "الاتجاه السلفي الإصلاحى" إلى تأثره بالحدثة الأوروبية، واقتباس شعاراتها ومنها الوحدة والتقدم، فشعار الوحدة - في التقدم. وقد يكون الجابري في تحليله متأثراً ببعض المستشرقين¹.

يركز بعض الباحثين على الأبعاد السياسية لمشروع الأفغانى فىرى مالك بن نبي أن له أبعاداً ثورية سياسية دون أبعاد أخرى اجتماعية أو ثقافية أو تاريخية، حيث يقول: "لو أننا نحلل النزعة الثورية التي تتمثل في شخص الأفغانى، نرى تقريباً لها بعد واحد وهو البعد السياسى. يريد أن الأفغانى ينادى بتغيير التنظيمات السياسية والأوضاع الإسلامية لتحقيق ما يسميه بـ "الجامعة الإسلامية".²

وعليه يمكن اعتبار أن الجامعة الإسلامية حركة سياسية ودينية ذات منظور إصلاحى، وقضية فكرية وثقافية هدفت إلى ربط الشعوب الإسلامية والملل المختلفة والأقوام المتعددة برابطة وحدة الأمة الإسلامية، لتكون جبهة متحدة ضد الأخطار الخارجية الموجهة إليها، وليست نزعة دينية متعصبة ضد الأقليات أو غير المسلمين المقيمين على أراضيها، إنما رابطة إسلامية من أجل بناء مدنية وحضارة إنسانية³.

02- نشأة مشروع الجامعة الإسلامية

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت معالم ظهور الجامعة الإسلامية بغرض توحيد العالم الإسلامى في مواجهة المد الغربى الاستعماري، وبين الجامعة الإسلامية كفكرة سابقة بقرون على هذا التاريخ⁴.

بينما يرى البعض الآخر أن ظهورها الأول كان بظهور الحركات الإصلاحية التي تبنتها نخبة من المفكرين والتي كانت بمثابة أولى الحركات الكبرى التي ميزت القرن الثامن عشر من خلال تأثيرها في المرحلة الانتقالية الممهدة لليقظة الإسلامية والتي استهدفت إصلاح أوضاع المسلمين بالدرجة الأولى من مختلف مظاهر الفساد والانحلال التي مست

¹ منى صالحى، المرجع السابق، ص 23.

² المرجع نفسه.

³ عبد اللطيف مشرف: الجامعة الإسلامية ما بين التاريخ والسياسة المعاصرة، ينظر: على موقع:

<https://almojaded.com> تم الاطلاع يوم: 2026/03/12 على الساعة 5 مساءً.

⁴ فاطمة الزهراء رحمانى: الجامعة الإسلامية، المرجع السابق، ص 12.

مختلف المجالات بالإضافة إلى محاولة إيقاظهم من السبات العميق الذي كانوا فيه فضلا عن جمع كلمتهم لمواجهة المد الاستعماري.

وقد دعت تلك الحركة إلى تنقية عقيدة المسلمين من مختلف الشوائب التي علق بها نتيجة مختلف الطقوس التي كانت تمارسها الطرق الصوفية والمنافية تماما لمبدأ الإسلام، كما دعت لاعتبار المصدر الوحيد للعقيدة والمتمثل في الكتاب والسنة.¹

في حين أن الحركة الإصلاحية الإسلامية في مصر من محمد عبده حتى رشيد رضا، كانت لهم أراء مختلفة حول الحركة الوهابية وطرق الإصلاح وجمع الأمة الإسلامية، حيث انتقد محمد عبده الوهابيين وروحهم الدينية؛ لأنهم يتعارضون مع الأهداف الفكرية والاجتماعية للحدثاء الإسلامية، وعبر عن ذلك معللا بقوله ” لم يكونوا أصدقاء للعلم والحضارة“.²

ويؤي محمد رشيد رضا مدافعا قويا عن الوهابيين ودافع عن إعادة تأهيلهم في العالم الإسلامي وتحالف مع آل سعود والحركة الوهابية.³

ثالثا: رواد الجامعة الإسلامية

01- جمال الدين الأفغاني 1838-1897م

فهو المولود في أسد آباد سنة 1839م حظي بعناية فائقة في صغره فتعلم العلوم العربية والشرعية والعقلية في سن مبكرة ثم سافر إلى الهند واستكمل دراسته للعلوم مثل الرياضيات وعلى الطريقة الأوروبية ثم انتقل إلى الأقطار الحجازية ووصل على مكة في سنة 1857م ليؤدي فريضة الحج.⁴

كان أبوه ذا منزلة عالية بين العشائر لذلك كان حاكما على منطقة كنهر من أعمال كابل في أفغانستان لذلك فإنه ويقولون في خلقه انه يخيل لناظره انه عربي من بلاد الحرمين.

¹فاطمة الزهراء رحمانى: الجامعة الإسلامية، المرجع السابق، ص 13.

²هنري لوزيير: صناعة السلفية - الإصلاح الإسلامي في القرن العشرين، تر: أسامة عباس - عمرو بسيوني، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2018م، ص 64.

³للمزيد عن علاقة الشيخ رشيد رضا بالحركة الوهابية ينظر: محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، دار المنار للنشر، القاهرة، 2009.

⁴محمود أبوريه: نوابع الفكر العربي جمال الدين الأفغاني، دار المعارف، مصر، ط2، 1971، ص 16.

فهو أفغاني الأصل شريف النسب ينتمي إلى الحسن ابن علي كما جمع شرف السيادة فكان أهل بيته سادة على عمالات الأفغان.¹

لقد كرس هذا الرجل جل حياته لخدمة الإسلام والمسلمين ورغم ما قيل فيه كانت حياة هذا الرجل كلها مثالا حيا عن الشجاعة وعلى التمرد على الواقع وربما كان هذا مصدر قوته وتأثيره على محيطه وكل معاصريه فهو رائد الفكر الإصلاحى و باعث النهضة الحديثة في الشرق وفي الأمة الإسلامية كلها.²

عرف أحوال الأمم الإسلامية وأسباب معاناتها محاولا إيجاد العلاج فبدأ الدعوة إلى التضامن الإسلامي و الأخوة و الإتحاد والإخاء الإسلامي وهنا تبرز فكرة الجامعة الإسلامية في فكره فأنشأ جمعية أم القرى فضمنت أعضاء من مختلف الأقطار الإسلامية كما أصدر مجلة حاملة لنفس الاسم.³

قرر الارتحال إلى الأستانة وعندما وصل استقبله مجموعة كبيرة من رجالات الدولة العثمانية. كان على رأسهم الصدر الأعظم علي باشا فنزل عنده منزلة الكرامة والعزة.⁴

وفي خلال مدة قصيرة كثر أتباعه وطلبته في تزايد ومنهم الشيخ محمد عبده وكان يدرس العلوم العقلية وكان حديثه لا يسأم بل منيرا للعقل مطهرا للعقيدة وانتشرت أفكاره بين الطلبة وبين الناس عامة فاستيقظت المشاعر وانتبهت العقول وخف الحجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصا القاهرة.⁵

تعرض الافغاني للنفي من مصر سنة 1879⁶، وتوجه إلى الهند وأقام في حيدر أباد ثم عاد الى مصر سنة 1882م ووضع تحت الإقامة الجبرية ولما وقعت الحماية البريطانية

¹ أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص 54.

² عزة قرني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 1980، ص105

³ على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص 110.

⁴ جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق القرن في القرن التاسع عشر، ج 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص71

⁵ محمد عبده: الثائر الإسلامي جمال الدين ورسالة الرد الدهريين، دار الشهاب للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، د ت، ص9

⁶ جرجي زيدان المصدر السابق، ص 78

في نفس السنة سمح له أن يسافر فاختر لندن ثم باريس لينشأ جريدة عربية هناك سماها باسم جمعيته في مصر وهي جمعية العروة الوثقى .

فكتب إلى تلميذه وصديقه محمد عبده ليوافيه إلى باريس من منفاه في بيروت فذهب فكانت هذه الجريدة تدعو الى الوحدة الإسلامية والتخلص من الهيمنة الأجنبية 18 عددا.

02- محمد عبده 1849-1905م.

هو الإمام الشيخ محمد عبده حسن خير الله ولد في قرية محله نصر، وهي إحدى محافظات سوريا في سنة 1849م شيخ المصلحين وإمام مصر الأول ومفتيها لذلك فهو سوري المولد مصري النشأة. ويقال أن أمه عربية من بني عدى وأبوه من أصل تركماني¹. تلقى تعليمه الأول في قريته وتعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وهو في السابعة من العمر وفي السنة 1864م تلقى دروسه الأولى بالأزهر².

تحصل على شهادة العالمية سنة 1877م من الأزهر الشريف ثم امتحن التدريس بدار العلوم وألف كتب عديدة³.

شق طريقه في فضاء الإصلاح في العالم الإسلامي ليصبح عالما مهما فيه دون اسمه على صفحات الأيام⁴. وقد واصل عمله في مجال التعليم والتربية حتى التقى السيد جمال الدين الأفغاني الذي أثر فيه أيما تأثير فهذا المدرس الذي كان يهتم بالصوفية و المنهمك في دراسة كتبها صار مجددا للدين منتقدا بعض أفكارها المثبطة⁵ ليصير بعد ذلك أحد أهم تلامذة الأفغاني واشترك في مختلف التنظيمات السياسية السرية التي أنشأها.

وفي مدة قصيرة صار يكتب في الجرائد مثل "الأهرام" وتولى تحرير صحيفة الوقائع المصرية فكانت مقالاته الإصلاحية الدينية الداعية للنهضة بالمسلمين من خلال اتخاذ العلم مطية لذلك⁶، - انظم مع الحزب الوطني الحر إلى العربيين بعد مظاهرة عابدين في 9 سبتمبر 1881م.

¹ أحمد أمين، المصدر السابق، ص247.

² محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد، ج 1، المصدر السابق، ص 25.

³ المصدر نفسه، ص 26.

⁴ حرجي زيدان المصدر السابق، ص 230

⁵ محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر جمال الدين الأفغاني محمد عبده، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1999، ص 177.

⁶ أحمد أمين المصدر السابق، ص 260

كان يرى تطوير العالم الإسلامي وإصلاحه حتما عبر إصلاح جانبه الاجتماعي والفكري والتربوي فانكبت جهوده في هذا الميدان، أي أراد تنوير العقل وتنميته.¹

03- الشيخ محمد رشيد رضا 1865-1935

رشيد رضا من مواليد 1865م في قرية القلمون وهي قرية لبنانية تبعد عن طرابلس الشام حوالي ثلاثة أميال، تتميز بكثرة المدارس الدينية للتعليم، في بيت من بيوت الأشراف ينحدرون من الفرع المتناقل من آل البيت من فرع الحسين بن علي فكان هذا الابن من أهل الإرشاد والعلم والرئاسة.²

تعلم في مسقط رأسه ثم أنتقل إلى المدرسة الوطنية الإسلامية بنفس المدينة ليتعلم على يد شيوخ كبار.³

وهذا وقد ظهر تأثير مقالات - العروى الوثقى - الجريدة التي كان قد أصدرها في باريس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، مقالاتهما كانت حاسمة في إثارة وتوجيه حياته وممارساته حول الإصلاح والدين "4.

وبعد وفاة محمد عبده سنة 1905م وجد رشيد رضا نفسه في أوضاع حتمت عليه سببا الدخول إلى السياسة من باب إصلاح أوضاع المسلمين والدولة العثمانية ومحاربة الاستبداد ومن هنا تظهر نظرة رشيد رضا لفكرة الجامعة الإسلامية ويذهب أحيانا في تعريفه للجامعة الإسلامية على أنها الاتحاد حيث تتوحد الأمور الخارجية والإصلاحات الداخلية من خلال التربية والتعليم ووحدة الأحكام والآداب واللغة⁵.

وبحكم تأثره بأستاذه الأفغاني وعبده فإنه حاول أن يمزج أفكارهما ليخرج بمنهج إصلاحية خاص به⁶، حيث رأى بعض المؤرخين أن جريده المنار قد تأثرت كثيرا بمجلة العروى الوثقى.

¹ أحمد أمين، المصدر السابق، ص 265.

² شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إضاء أربعين عاما، تع: مدحت يوسف السبع، دار الفضيلة، القاهرة، 2006، ص 25.

³ المصدر نفسه، ص 36.

⁴ محمد رشيد رضا: مختارات سياسية من مجلة المنار، تق: وجيه كوثراني، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص 9.

⁵ هزري بن جلول : الشيخ محمد رشيد رضا والدولة العثمانية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف يوسف مناصرية ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 2003-2004، ص 83

⁶ محمود الشيخ : رجال الإصلاح، دار اليازوري للنشر، عمان ، 2000 ، ص 43.

سعى في الميدان السياسي لمحاربة الاستبداد والفساد لينشأ جمعية القاهرة أطلق عليها اسم " جمعية الشورى العثمانية " تولى رئاستها بنفسه ليظهر التحول أيضا في مقالات مجلة المنار فتظهر الكتابات عن الاستبداد والسياسة العثمانية وحكم الشورى وطرق إصلاح الدولة العثمانية¹، لذلك نجده يلح على تحديث وإصلاح نظام التربية وتوحيد بين المسلمين وركز على الأزهر وهذا إتماما لعمل أستاذه محمد عبده فقال: " نطلب من مشايخ الأزهر إصلاح طريقة التعليم ليقرب التحصيل على الطلاب."²

كان رشيد رضا يحارب الاستعمار الأجنبي بالدعوة إلى الوحدة والتضامن في إطار الجامعة الإسلامية فأراد من خلال هذه الوحدة الالتفاف حول الإسلام لأنه عصمة أمر الأمة والإصلاح لها³.

واعتقد رشيد رضا أن توحيد بين السنة والشيعة ضرورة ماسة أن تتعاون الطائفتان على ما يتفقان عليه وأن تعذر أحدهما الأخرى فيما⁴.

وإلى جانب المنار ألف رشيد رضا مجموعة من كتب أبرزت اتجاهاته في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وأفكاره في الجامعة الإسلامية ومن كتبه: الوحي المحمدي، نداء للجنس اللطيف، الوحدة الإسلامية⁵.

واصل رشيد رضا نشر أفكاره الإصلاحية على نهج أستاذه محمد عبده كما بقيت المنار تصدر حتى وفاته سنة 1935م.

04- شكيب أرسلان 1869-1946

ولد 25 ديسمبر 1869م بقرية الشويفات ضاحية بيروت بلبنان واسمه الكامل شكيب بن حمود بن حسن بن يونس.

تعلم مبادئ القراءة والكتابة في مسقط رأسه ثم حفظ القرآن الكريم ثم دخل المدرسة الأمريكية بالشويفات فنال قسطا من العلوم واللغة الانجليزية ثم انتقل سنة 1879م إلى

¹ محمد رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنارة، المصدر السابق، ص 15

² علي المحافظة، المرجع السابق، ص 93

³ محمد طهاري، المرجع السابق، ص 159

⁴ المرجع نفسه، 160

⁵ علي المحافظة، المرجع السابق، ص 89.

مدرسة الحكمة ببيروت حيث تعلم الفرنسية وتعلم التركية وفي سن مبكرة برزت شخصيته في الشعر بعدها.

أسرته عريقة والده الأمير حمود أرسلان مديرا ناحية الشويفات تولوا عدة مناصب عالية في الدولة كما اكتسبوا مكانة بين الناس فمنهم الشعراء والسفراء والمناضلون والقادة العسكرية.

شكيب كان أشهرهم فقد تنوعت نشاطاته وتعددت اهتماماته وهذا يعود دون شك إلى عاملين أساسيين أولهما إلى أسرة عريقة اشتهرت بالعلم والإدارة¹.

التقى الشيخ محمد عبده سنة 1887م الذي كان مدرسا للغة في المدرسة السلطانية² والمعروف أن لبنان كان المنفى للإمام محمد عبده ، هذا الأخير الذي كان له تأثير كبير في شخصيه وفي سنة 1889م انتقل إلى دمشق والتقى هناك عدة علماء وكتاب والشعراء ومصلحين فتبادل الآراء معهم وتعرف عليهم وتعرفوا عليه وناقش معهم أوضاع الإسلام والمسلمين³.

انتقل إلى مصر 1890م والتقى بأستاذه محمد عبده ولازمه شهرين كاملين كما التقى هناك بعدة شخصيات⁴، ذات ميولات إصلاحية وسياسية منهم سعد زغلول والشيخ علي يوسف كما تأثر بفيلسوف وموقف الشرق جمال الدين الأفغاني اقتدى به في منهجه وفكره وحياته السياسة وسنة 1892م سافر إلى الأستانة والتقى به وقال له جمال الدين : " أنهى أرض الإسلام التي أنبتك " ويظهر تأثره به في قوله حول الإصلاح والنهوض بالعالم الإسلامي.

رأى أن الدولة العثمانية وبكل عيوبها أهون وراحم من الاستعمار الأوروبي⁵، فلم يفوت أي فرصة لينوه بضرورة مساندتها والوقوف إلى جانبها كونها حامية الإسلام والمسلمين وظهرت مواقفه على أرض الواقع عند اشتراكه في الجهاد مع الدولة العثمانية في طرابلس

¹ شكيب أرسلان : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مكتبة رحاب الجزائر ، 1989، ص 6-7

² لوثرروب ستودارد: المصدر السابق، ج 1، ص 183.

³ شكيب أرسلان، المصدر السابق ، ص 8.

⁴ لوثرروب ستودارد: المصدر السابق، ج 1، ص 298.

⁵ الصادق دهاش، ظهور وتطور فكرة الجامعة الإسلامية، المرجع السابق ، ص 101.

الغرب سنة 1911م عندما احتلها الايطاليون وكان يرى في ذلك واجبا مقدسا¹ ويقول أرسلان عن احتلال ليبيا: " لم تفجع بلاد إسلامية بعد الأندلس بمثل ما فجعت به طرابلس البرقاوية ".²

ويعد شكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا من الذين هاجموا حكومة الاتحاديين جراء تفریطهم في ليبيا ليبدأ في تغيير إستراتيجيته خاصة مع نهاية الحرب العالمية الأولى حيث انتهت على غير ما تشتهي نفسه وتروم³ ليلتفت نحو الأمة العربية ويولي قضاياها اهتماماته، مكرسا لذلك فكره وعلمه وماله.

وكان شكيب أرسلان لا يثق في وعود الحلفاء للعرب، رغم ما قيل عن صداقته الشخصية مع بعض الرؤساء والملوك في أوروبا مثل الإمبراطور غليوم الثاني وموسوليني.⁴ وبعد الفشل في حماية الخلافة الإسلامية وإعادة إحيائها يعود شكيب إلى الدعوة الجامعة العربية ليكرس كل أوقاته لقضايا الوطن العربي خاصة في ظل تعرضه للاستعمار الأوربي فرافع عن سوريا ولبنان وفلسطين والمغرب وتونس والجزائر وعاش بعيدا عن وطنه منتقلا في أرجاء أوربا وأمريكا.⁵

فأصدر في هذا الصدد مجلة سماها " الأمة العربية " ⁶ ولم يبخل على أمته بما استطاع حتى عودته إلى وطنه سنة 1946م لكن أتبعه المرض وتقدمت به السنون فلم تطل مقاومته وعجزت يد البشر وأقبلت يد القدر في 9 ديسمبر 1946م، وكانت وصيته الأخيرة لمن حضروا لحظاته الأخيرة " أوصيكم بفلسطين ".⁷

¹ شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، المصدر السابق، ص 11.

² لوثروب ستودارد: المصدر السابق، ص 376

³ شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص 12.

⁴ أنطوان فلوري: الحركة القومية العربية في جنيف مابين الحربين، تر: قاسم الزاهري، مجلة المناهل، ع 23، 09 جويلية 1982م، الرباط، ص 134

⁵ الأمة العربية: مجلة شهرية بلغة الفرنسية أصدرها من جنيف مع إحسان الجابري في مارس 1930م، دافعت عن قضايا الأمة الإسلامية والعربية بالخصوص وأولت اهتماما خاصا بأقطار المغرب العربي. ينظر إلى: ناصر الحكيم، جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان، الدار النقدية، بيروت، 2010، ص 220

⁶ شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، المصدر السابق، ص 14.

⁷ أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب أرسلان، ج 2 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ط 1 ، 1963م، ص 455.

05- الشيخ عبد الرحمان الكواكبي 1848-1902م.

يعتبر الشيخ عبد الرحمان الكواكبي من أكبر المصلحين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ورغم انه لم يعمر طويلاً، لكنه ترك تراثاً معتبراً، وبصمات واضحة في مسار الإصلاح والتجديد، وقد عالج الشيخ مشاكل الأمة العربية والإسلامية بعمق واسهاب، كما تميز بمعارضة للحكم العثماني، يعبه من أسباب التخلف في العالم الإسلامي¹.

وضح عبد الرحمان الكواكبي تصوره لمشروع الجامعة الإسلامية في كتابه *ام القرى* فعلى ضوء التصور التخيلي الذي وصفه لمؤتمر مكة المكرمة وبمشاركة نخبة من العلماء من المشرق والمغرب، لم ينشر كتاب الى العالم واحد من الجزائر، وضع تصوراً لجدول اعماله، التي تمحورت حول موضوع الانحطاط والفتور الذي أصاب الامة².

ومن كلماته الجامعة في أسباب فتور الأمة الإسلامية، تلك التي تقول من أسباب فتور المسلمين تحول نوع السياسة الإسلامية، فقد كانت نيابة اشتراكية أي ديمقراطية تماماً، فصارت بعد الراشدين ملكية مقيدة ثم صارت اشبه بالمطلقة، ولقد اثبت الحكماء إن المنشأ الأصلي بشقاء الإنسان هو وجود السلطة القانونية المنحلة، ان شريعتنا مبنية على من في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم، لكن حكومتنا قد قلبت الموضوع، فصارت تجني الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء، وتعالى بها المسرفين والسفهاء"³.

اتجه الكواكبي اتجاهاً صريحاً نحو الاعداد للثورات المسلحة، التي كان يرى فيها الوسيلة الوحيدة الكفيلة بتحرير الشعوب الإسلامية من الاستبداد السياسي، الذي يتمثل في الحكم الملكي الفاسد، أو استثمار الصريح والمقنع، ومن الاستبداد الروحي الذي تمثله طائفة من العلماء الادعياء ومن المتصوفة"⁴.

¹ السيد فرايتي: عبد الرحمان الكواكبي، ام القرى، القاهرة، 1431، ص 137.

² المرجع نفسه، ص 141.

³ محمد عمارة، شخصيات لها تاريخ، المرجع السابق، ص 186 - 187.

⁴ محمود قاسم، الإصلاح بين الكواكبي والسنوسية، مجلة الثقافة، العدد 95، الجزائر، سبتمبر، اكتوبر، 1986، ص129

رابعاً: أهداف ومبادئ الجامعة الإسلامية:

01- أهداف الجامعة الإسلامية:

نجد أن أنور الجندي في كتابه العالم الإسلامي والاستعمار السياسي و الاجتماعي والثقافي بين أهداف الجامعة الإسلامية وذلك من خلال قوله أن من أهم أهداف الجامعة الإسلامية ما يلي:

- السعي في إصلاح أمر الإسلام على النهج الإسلامي، وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين لإعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدي لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة وسذاجة،¹.

- أشار المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي في قوله إن السلطان عبد الحميد كان يهدف من سياسته الإسلامية، تجمع مسلمي العالم تحت راية واحدة، فهذا لا يعني إلا هجمة مضادة، يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي التي استهدفت عالم المسلمين". وكانت فكرة الجامعة الإسلامية يمكن أن تحقق أهدافاً منها:

- مواجهة أعداء الإسلام المثقفين بالثقافة الغربية، والذين توغلوا في المراكز الإدارية والسياسية الحساسة في أجهزة الدولة الإسلامية عموماً، وفي أجهزة الدولة العثمانية خصوصاً، وإيقافهم عند حدهم عندما يجدون أن هناك سداً إسلامياً ضخماً وقوياً يقف أمامهم.

- محاولة إيقاف الدولة الاستعمارية الأوروبية وروسيا عن حدها عندما تجد أن المسلمين قد تكتلوا في حق واحد وقد فطنوا إلى أطماعهم الاستعمارية ووقفوا ضدها بالوحدة الإسلامية.

- إثبات أن المسلمين يمكن ان يكونوا قوة سياسية عالمية، يحسب لها حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري والعقدي الروسي الأوربي النصراني.

- تأخذ الوحدة الإسلامية الجديدة دورها في التأثير في السياسة العالمية.

- تستعيد الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة وبذلك يمكن إعادة تقويتها.²

¹ أنور الجندي، العالم الإسلامي المرجع السابق، ص 181.

² محمد علي الصلابي، عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دت) ص 31، 32.

02 - مبادئ الجامعة الإسلامية:

تعتبر الجامعة الإسلامية مظهراً من مظاهر اليقظة الإسلامية التي ظهرت في القرن التاسع عشر ميلادي، حيث استوعبت جميع محاولات التجديد والإصلاح عن طريق إحياء الجانب الروحي لدى المسلمين وإيقاضهم من سباتهم العميق، أما المبادئ التي تقوم عليها فهي:

أ - الوحدة الإسلامية

جميع هذا يوضح أن العالم الإسلامي يجب أن يتحد اتحاد ادفاعياً عاماً ، مستمسك الأطراف، وثيق العرى، ليستطيع بذلك زياد عن كيانه ووقاية نفسه من الفناء المقبل، والوصول الى هذه الغاية الكبرى ¹.

يدعو إلى التضامن الإسلامي، حيث يجعل دار الإسلام جامعة للتضامن، "مع بقاء كل ذي ملك على ملكه" ².

يقول الأفغاني في مقال " الوحدة الإسلامية " "لا" ألتمس بقولي هذا أن مالك الأمر في جميع شخصاً واحداً فإن هذا ربما كان عسيراً ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهد له لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياته وبقائه ببقائه، إلا أن هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضي به الضرورة، وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات" ³.

ب - التحرر

يدعو إلى إبعاد شبح الجمود في فكر المسلمين وكسر العزلة التي فرضت عليهم، والاعتماد على التعليم بمؤسساته التي تأخذ بأسباب العلم الحديث وتنقض عن نفسها الجمود في الفكر في الأسلوب واظهار مرونة الإسلام.

التحرر من تخلف يأتي من استعمال العقل بين الإسلام والمسلمين من جهة، ومتطلبات العصر الحديث من جهة أخرى، وتخلص الإسلام من الشوائب التي علقت به وصلاح المساوئ الدينية والاجتماعية التي تفشت بين المسلمين.

¹لوثروب ستودارد، المصدر السابق، ص 207.

²محمد عمارة، إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال؟، ط 1، مكتبة الشروق القاهرة، مصر، 2005، ص 28.

³جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تح: صلاح الدين البستاني، دار الغرب القاهرة، مصر، 1993، ص 72.

ج - التحرر من استبداد الحكام

الحكم الاستبدادي العثماني الكثير من الأقطار العربية الإسلامية البعيد عن الشورى الإسلامية وروح الديمقراطية الغربية لان هذا الحكم الاستبدادي لا يتفق مع الشورى التي دعى اليها الإسلام، وفي هذا السبيل فقد دعى السيد جمال الدين الأفغاني الى النظام الدستوري وحكم الشورى¹.

د - مقاومة الاستعمار

يقول جمال الدين الافغاني في العروة الوثقى " لقد نضرت الى الشرق وأهله فوجدت اقتل ادوائه انقسام اهله وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيهه للخطر المحقق بهم"².

تعتبر الوحدة هي الطريق لمقاومة الاستعمار الزاحف نحو الأقطار الاسلامية والذين كون مستعمرات في أقطار من آسيا وإفريقيا

أن الخطر الأوربي ليس موجها ضد الأوطان الإسلامية فقط و انه خطر يقوم على أساس ديني، بل هو حركة نصرانية موجهة ضد الإسلام. وان هذا الخطر ليس مجرد استعمار انجليزي أو استعمار فرنسي أو استعمار روسي بل ان أدوات الاستعمار الحضارية خطر على الإسلام والمسلمين ولا يمكننا التصدي له إلا بتجمع إسلامي³.

المبحث الثاني: السياق التاريخي والسياسي 1900-1919

أولاً: أوضاع العالم الإسلامي في مطلع القرن م20

01- الأوضاع السياسية

دخلت الدولة العثمانية القرن العشرين وهي تُوصف بـ"الرجل المريض"، حيث تراكمت عليها الأزمات الداخلية والخارجية. فقد فقدت أجزاء واسعة من أراضيها في البلقان وشمال أفريقيا خلال القرن التاسع عشر، وتصاعدت فيها النزعات القومية الانفصالية بين شعوبها المتعددة الأعراق.

¹ رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، معهد الدراسات الآسيوية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة الزقازيق، 1994، ص 272-273.

² جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى المرجع السابق، ص 13.

³ رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص 274.

وقد شهدت الدولة العثمانية محاولات إصلاحية متعددة بدءاً من التنظيمات -1839 1876، ثم إعلان الدستور العثماني عام 1876م الذي علّقه السلطان عبد الحميد الثاني بعد فترة وجيزة، قبل أن يُعاد العمل به عام 1908م إثر ثورة جمعية الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة). وقد أدى وصول الاتحاديين إلى السلطة إلى تبني سياسة التتريك¹.

يقول المؤرخ محمد فريد بك في وصف أحوال الدولة في تلك الفترة إنها كانت "تتخبط في فوضى إدارية ومالية، والديون الخارجية تثقل كاهلها، والدول الأوروبية تتربص بها"². كان الاستعمار الأوروبي قد بسط سيطرته على الجزء الأعظم من العالم الإسلامي بحلول مطلع القرن العشرين، وتوزعت الهيمنة الاستعمارية على النحو التالي:

- الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ 1830م، وتونس منذ 1881م، وفرضت الحماية على المغرب عام 1912م، إضافة إلى مستعمراتها في غرب أفريقيا وسوريا ولبنان لاحقاً.
 - الاحتلال البريطاني على مصر منذ 1882 (الاحتلال العسكري)، والسودان (الحكم الثنائي 1899)، وعدن، والخليج العربي، والهند (التي كانت تضم أكبر تجمع للمسلمين)، وماليزيا.
 - الاحتلال الإيطالي ليبيا عام 1911م.
 - الاحتلال الهولندي استعمرت إندونيسيا (جزر الهند الشرقية).
 - الاحتلال الروسي سيطرت على بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) والقوقاز³.
 - اتفاقية سايكس-بيكو 1916م ثم وعد بلفور 1917م لتكشف عن المخططات الاستعمارية لتقسيم ما تبقى من الأملاك العثمانية في المشرق العربي، وهو ما تحقق فعلياً بعد الحرب العالمية الأولى من خلال نظام الانتداب⁴.
- لم يستسلم المسلمون للهيمنة الاستعمارية، بل ظهرت حركات مقاومة متعددة:

¹ أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، القاهرة، دار الشروق، ط3، 2003، ص 275.

² محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط10، 2009، ص 610.

³ جمال الدين الأفغاني وآخرون (دراسة عنه): ينظر محمد عمارة، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة، دار الشروق، 2002، المقدمة، ص 45.

⁴ أنطونيوس، جورج، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، ط8، 1987، ص 338.

- الثورة المهدية في السودان: 1881-1899 بقيادة محمد أحمد المهدي ثم خليفته عبد الله التعايشي.
- مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري: 1832-1847 وإن كانت سابقة إلا أن إرثها استمر.
- الثورة العربية في مصر. 1881-1882م.
- مقاومة عمر المختار في ليبيا. (1911-1931)
- الحركة الوطنية المصرية: التي تبلورت مع مصطفى كامل (ت 1908) ومحمد فريد.
- ثورة 1919 بقيادة سعد زغلول¹.

02- الأوضاع الاقتصادية

عانى العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين من تبعية اقتصادية شبه كاملة للاقتصادات الأوروبية. فقد تحولت معظم البلدان الإسلامية إلى مصدر للمواد الخام ومستورد للمنتجات المصنّعة، في إطار ما عُرف بالتقسيم الدولي للعمل الذي فرضته الرأسمالية الاستعمارية.

الديون الخارجية من أخطر أدوات الهيمنة الاقتصادية؛ فقد أنشئ صندوق الدين العثماني عام 1881م للإشراف على ديون الدولة العثمانية، كما أنشئ صندوق الدين المصري عام 1876 الذي أدى فعلياً إلى وضع المالية المصرية تحت الرقابة الأجنبية.²

الامتيازات الأجنبية نظاماً قانونياً واقتصادياً منح الرعايا الأوروبيين حقوقاً استثنائية في الأراضي العثمانية ومصر، بما في ذلك الإعفاء من الضرائب والخضوع لقوانينهم الوطنية بدلاً من القوانين المحلية. وقد تحولت هذه الامتيازات من أداة دبلوماسية إلى وسيلة للنفوذ الاقتصادي والسياسي.³

ظلت الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي في معظم البلدان الإسلامية، لكنها كانت تقوم على أساليب تقليدية بدائية. أما الصناعة فقد تدمرت الحرف والصناعات التقليدية بفعل

¹ عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل: باعث الحركة الوطنية، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1984، ص 192.

² رأفت الشيخ، التاريخ المعاصر للأمم العربية والإسلامية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1999، ص 111.

³ نصوح صقّال، الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، ص 67.

منافسة المنتجات الأوروبية المستوردة، ولم تنشأ صناعة حديثة حقيقية إلا في حالات محدودة كتجربة محمد علي في مصر التي أجهضت بفعل الضغوط الأوروبية¹.

03- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

التعليم في معظم البلدان الإسلامية يعاني من الجمود والتقليدية، حيث اقتصرت المؤسسات التعليمية التقليدية (كالأزهر والزيتونة والقرويين) على العلوم الشرعية واللغوية مع إهمال العلوم الطبيعية والتطبيقية.

أنشأ المستعمرون ورجال الإصلاح مدارس حديثة على النمط الغربي، مما أوجد ازدواجية في النظام التعليمي أنتجت نخبتين متباينتين في الثقافة والتوجه².

نسب الأمية مرتفعة جداً في العالم الإسلامي؛ إذ تجاوزت في بعض البلدان 90% من السكان. وكان تعليم المرأة شبه معدوم في كثير من المناطق، مما أدى إلى تخلف اجتماعي عام³.

شهدت بأوروبا ثورة صناعية وعلمية هائلة. وقد وصف الأمير شكيب أرسلان هذا الواقع في كتابه الشهير "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" حيث عدّد أسباب تخلف المسلمين بين أسباب ذاتية تتعلق بالجهل والاستبداد والتفرق، وأسباب خارجية تتعلق بالاستعمار ومؤامراته⁴.

04- تداعيات الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى (1914-1918) إلى جانب ألمانيا والنمسا-المجر (دول المحور)، وأعلنت الجهاد ضد دول الحلفاء. وقد كانت هذه الحرب بمثابة الضربة القاضية للدولة العثمانية التي انتهت بهزيمتها وتوقيع هدنة مودروس (30 أكتوبر 1918) ثم معاهدة سيفر (1920) التي قسّمت أراضيها⁵.

بعد حرب الاستقلال التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، ألغيت السلطنة العثمانية عام 1922، ثم أعلنت الجمهورية التركية عام 1923، وأخيراً ألغيت الخلافة رسمياً في 3

¹ عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، دار المعارف، ط5، 1989، ص 440.

² ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص 56.

³ قاسم أمين، تحرير المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2012، ص 43.

⁴ شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1975، ص 115.

⁵ أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، المرجع السابق، ص 371.

مارس 1924. وقد أحدث إلغاء الخلافة صدمة عميقة في العالم الإسلامي، وفتح نقاشاً واسعاً حول مستقبل الوحدة الإسلامية ونظام الحكم في الإسلام¹.

05- مسألة فلسطين وبداية المشروع الصهيوني

كان من أخطر التطورات في مطلع القرن العشرين تنامي المشروع الصهيوني الذي بدأ مع المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897 بقيادة تيودور هرتزل، ثم تُوّج بوعد بلفور (2 نوفمبر 1917) الذي تعهدت فيه بريطانيا بإنشاء "وطن قومي لليهود" في فلسطين. وقد بدأت موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين تتصاعد تحت الحماية البريطانية، مما أدى إلى مقاومة فلسطينية مبكرة².

ثانياً: سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في دعم الجامعة الإسلامية

تولّى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم عام 1876 في ظروف بالغة الصعوبة، فقد كانت الدولة العثمانية تواجه:

- الأطماع الاستعمارية الأوروبية حيث كانت الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا-المجر) تتنافس على اقتسام أملاك الدولة العثمانية فيما عُرف بـ"المسألة الشرقية".
- الحرب الروسية-العثمانية (1877-1878) التي انتهت بهزيمة عثمانية قاسية وتوقيع معاهدة سان ستيفانو ثم مؤتمر برلين (1878)، وفقدت الدولة بموجبها أراضي واسعة في البلقان.
- احتلال فرنسا لتونس عام 1881 واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882، وهما ولايتان عثمانيتان اسمياً³.
- الحركات القومية الانفصالية: خاصة في البلقان بين الصرب والبلغار واليونانيين والأرمن، مدعومة من القوى الأوروبية.

¹ علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم: بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، تح: محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972، ص224.

² عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط10، 1990، ص 100.

³ أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، القاهرة، دار الشروق، ط3، 2003، ص 300.

- الأزمة المالية: حيث كانت الدولة العثمانية قد أعلنت إفلاسها عام 1875، وأنشئ صندوق الدين العام العثماني عام 1881 تحت إشراف أوروبي.
- التيارات الفكرية المعارضة: كحركة العثمانيين الجدد ثم تركيا الفتاة التي طالبت بالحكم الدستوري¹.

ثالثاً: الوسائل والأدوات التي استخدمها السلطان عبد الحميد في تنفيذ سياسة الجامعة الإسلامية

01. التأكيد على اللقب الديني

حرص السلطان عبد الحميد على إبراز لقب "خليفة المسلمين" و "أمير المؤمنين" في خطابه الرسمي ومراسلاته الدبلوماسية، وجعل من هذا اللقب ركيزة أساسية في شرعيته السياسية.²

02. خدمة الحرمين الشريفين

أولى السلطان عبد الحميد عناية خاصة بالحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، باعتبار أن خدمتهما تعزز شرعيته الدينية أمام العالم الإسلامي. وكان من أبرز مظاهر ذلك مشروع سكة حديد الحجاز³.

03. مشروع سكة حديد الحجاز (1908-1900)

يُعدّ مشروع خط سكة حديد الحجاز (الخط الحديدي الحجازي) من أضخم المشاريع التي جسّدت سياسة الجامعة الإسلامية عند السلطان عبد الحميد الثاني. وقد ربط هذا الخط بين دمشق والمدينة المنورة بطول يبلغ نحو 1320 كيلومتراً، وافتتح عام 1908م.⁴

¹ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط10، 2009، ص 549.

² خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2002، ص 130.

³ عبد الرؤوف سنو: "السلطان عبد الحميد الثاني والعرب"، مجلة حوار العرب، العدد 05، 2005، بيروت، ص 112.

⁴ وليم أوكثيرلوني، وينظر بالعربية: عبد القادر محمد أحمد يحيى، سكة حديد الحجاز: دراسة في الأبعاد السياسية والاقتصادية والعمرانية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1995. وينظر أيضاً: حسين مؤنس، الدولة العثمانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 97، 1986، ص 140.

والأهم من ذلك أن تمويل المشروع جاء بشكل أساسي من تبرعات المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي (الهند وإندونيسيا ومصر وغيرها)، وهو ما كان في حد ذاته تجسيداً عملياً لفكرة الجامعة الإسلامية وتفعيلاً للتضامن الإسلامي.¹

04. شبكة الدعاة والمبعوثين الدينيين

أنشأ السلطان عبد الحميد شبكة واسعة من الدعاة والمبعوثين الذين أرسلهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي لتعزيز الارتباط بالخلافة العثمانية:

- أسس السلطان عبد الحميد عدداً كبيراً من المدارس في مختلف أنحاء الدولة العثمانية والأقاليم الإسلامية، وحرص على أن يكون التعليم الديني جزءاً أساسياً من المناهج. كما أنشأ مكتبات ووقف عليها أوقافاً، وشجّع حركة الترجمة والطباعة لخدمة الثقافة الإسلامية.²

05. الدبلوماسية الإسلامية

وظّف السلطان عبد الحميد العلاقات الدبلوماسية في خدمة الجامعة الإسلامية من خلال:

- استقبل السلطان في إسطنبول وفوداً من مختلف البلدان الإسلامية، من الهند وأفغانستان وآسيا الوسطى وأفريقيا، وأكرم وفادتهم وأظهر اهتمامه بقضاياهم.
- سعى السلطان إلى حماية حقوق المسلمين في المناطق الخاضعة للاستعمار الأوروبي، مستخدماً نفوذه الدبلوماسي لدى الحكومات الأوروبية. وكان يتقدم باحتجاجات رسمية في حالات اضطهاد المسلمين.³
- سعى السلطان عبد الحميد إلى إقامة علاقات وثيقة مع أفغانستان وإيران كدولتين مسلمتين مستقلتين، رغم الاختلاف المذهبي مع إيران (الشيعية)، وذلك في إطار سعيه لتوحيد الصف الإسلامي.⁴

06. توظيف الطرق الصوفية

¹ وليم أوكثيرلوني، مرجع سابق، ص 140

² سلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، المرجع السابق، ص 175.

³ أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص 230.

⁴ محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني: آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دمشق، دار القلم، ط3، 2000، ص 215.

استعان السلطان عبد الحميد بالطرق الصوفية المنتشرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كشبكات لنشر فكرة الجامعة الإسلامية والولاء للخلافة. فقد كانت الطرق الصوفية (كالنقشبندية والقادرية والشاذلية والتيجانية) تتمتع بنفوذ اجتماعي وروحي واسع بين الجماهير المسلمة، ولها أتباع ممتدون عبر الحدود السياسية. وقد أقام السلطان علاقات مباشرة مع شيوخ هذه الطرق واستقبل عدداً منهم في إسطنبول¹.

رابعاً: ردود الفعل تجاه سياسة الجامعة الإسلامية

01. التأييد في العالم الإسلامي

لقيت سياسة الجامعة الإسلامية ترحيباً واسعاً في أوساط المسلمين في مختلف أنحاء العالم:

- كان مسلمو الهند من أكثر المتحمسين لفكرة الجامعة الإسلامية والولاء للخلافة العثمانية. وقد تجلّى ذلك لاحقاً في حركة الخلافة (1919-1924) التي قادها الأخوان محمد علي وشوكت علي دفاعاً عن الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. وقد عبّر الشاعر والفيلسوف محمد إقبال عن هذا الارتباط الوجداني بالخلافة في شعره².
- وجدت فكرة الجامعة الإسلامية صدى في شمال أفريقيا، خاصة في الجزائر وتونس وليبيا، حيث كان المسلمون يتطلعون إلى السلطان العثماني كحامٍ للإسلام والمسلمين في مواجهة الاستعمار الفرنسي والإيطالي³.
- كان الزعيم المصري مصطفى كامل (1874-1908) من أبرز المتحمسين لفكرة الجامعة الإسلامية في المشرق العربي، إذ رأى فيها أداة لمقاومة الاحتلال البريطاني لمصر. وقد جمع مصطفى كامل بين الوطنية المصرية والولاء للخلافة العثمانية في مرحلة من مراحل نضاله، قبل أن يتطور موقفه لاحقاً نحو مزيد من التأكيد على الهوية الوطنية المصرية⁴.

02. القلق الأوروبي

¹ابوتشر سميرونوف ومؤلفين آخرين: ينظر بالعربية: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج5، ص250.

²أبو الحسن الندوي، المسلمون في الهند، بيروت، دار ابن كثير، 1999، ص195.

³عبد القادر زبّاد، المرجع السابق، ص160.

⁴عبد الرحمن الراجحي، مصطفى كامل: باعث الحركة الوطنية، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1984، ص162.

أثارت سياسة الجامعة الإسلامية قلقاً بالغاً لدى الدول الاستعمارية الأوروبية، خاصة:

- بريطانيا

كانت بريطانيا الأكثر قلقاً من سياسة الجامعة الإسلامية نظراً لسيطرتها على ملايين المسلمين في الهند ومصر والخليج. وقد رصدت الاستخبارات البريطانية نشاط المبعوثين العثمانيين في الهند والمستعمرات الأخرى، وسعت إلى مواجهة تأثيرهم. كما حاولت بريطانيا تقليص نفوذ الخلافة العثمانية من خلال دعم حركات قومية وإقليمية بديلة¹.

- فرنسا

خشيت فرنسا من تأثير الجامعة الإسلامية على مستعمراتها في شمال أفريقيا وغربها، حيث كان السكان المسلمون يشكلون الأغلبية الساحقة. وقد اتخذت فرنسا إجراءات لمراقبة النشاط الديني ومنع وصول المبعوثين العثمانيين².

- روسيا

كانت روسيا القيصرية تحكم ملايين المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز وشبه جزيرة القرم، وقد خشيت من تنامي النفوذ العثماني بين هؤلاء المسلمين.

03. الانتقادات الداخلية

لم تخلُ سياسة الجامعة الإسلامية من انتقادات داخلية:

- العلمانيون والليبراليون: رأوا فيها نوعاً من التوظيف السياسي للدين، وأنها لا تقدم حلاً حقيقياً لمشاكل الدولة.

- القوميون الأتراك: اعتبروها تضحية بالمصالح التركية لصالح شعوب أخرى.

- بعض المفكرين العرب: رأوا أنها أداة لتعزيز الهيمنة التركية على العرب تحت غطاء ديني³.

04. العلاقة بين السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغاني

تُعَدُّ العلاقة بين السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغاني من أكثر الجوانب إثارة للاهتمام في تاريخ الجامعة الإسلامية. فقد دعا السلطان الأفغاني إلى إسطنبول عام

¹ رأفت الشيخ، مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988، ص 320.

² زيادية، المرجع السابق، ص 210.

³ ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص 75.

1892، بعد أن كان الأخير قد اشتهر بدعوته إلى الجامعة الإسلامية ومقاومة الاستعمار. غير أن العلاقة بينهما شابها التوتر:

- **السلطان** أراد توظيف نفوذ الأفغاني الفكري في خدمة سياسته، لكنه في الوقت نفسه كان يخشى روحه الثورية ودعوته إلى الإصلاح السياسي والحكم الدستوري.
- **جمال الدين الأفغاني** كان يرى في الجامعة الإسلامية مشروعاً تحريراً شعبياً لا أداة بيد السلطان لتعزيز استبداده.

وقد ظل الأفغاني في إسطنبول تحت نوع من الإقامة الجبرية المقنّعة حتى وفاته عام 1897¹.

05. تقييم سياسة الجامعة الإسلامية عند عبد الحميد الثاني

- إطالة عمر الدولة العثمانية حيث أسهمت في تأخير التفكك النهائي للدولة بتعزيز شرعيتها الدينية.
- تعزيز الوعي الإسلامي المشترك وخلق شعور بالتضامن بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم.
- مشاريع تنموية: كسكة حديد الحجاز والمدارس والمستشفيات.
- الضغط على الدول الاستعمارية: للحد من اضطهاد المسلمين في مستعمراتها.
- الحفاظ على وحدة الولايات العربية: ضمن الإطار العثماني لفترة أطول².
- التناقض بين الخطاب والممارسة: فبينما كان السلطان يدعو إلى وحدة المسلمين، كان يمارس حكماً استبدادياً داخلياً، وعلّق الدستور والبرلمان.
- عجز السياسة عن منع الخسائر: لم تمنع الجامعة الإسلامية سقوط تونس ومصر وليبيا في أيدي الاستعمار.
- القصور العسكري والاقتصادي: لأن القوة الحقيقية لم تكن في الخطاب الأيديولوجي بل في الإمكانيات العسكرية والاقتصادية التي كانت الدولة تفتقر إليها.
- عدم القدرة على تجاوز الانقسامات المذهبية والقومية: بشكل فعلي³.

¹ محمد عمارة، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة، دار الشروق، 2002، المقدمة، ص 110.

² محمد حرب، المرجع السابق، ص 310.

³ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، ط3، 1977، ص 278.

06. نهاية السياسة

انتهت سياسة الجامعة الإسلامية بصيغتها الحميدية مع عزل السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م على يد جمعية الاتحاد والترقي التي تبنت سياسة قومية تركية (التتريك) بديلاً عن الجامعة الإسلامية. غير أن أثر هذه السياسة استمر في الوجدان الإسلامي العام، وظلت فكرة الخلافة والوحدة الإسلامية حاضرة في الخطاب الإسلامي حتى بعد إلغاء الخلافة عام 1924¹.

07. أثر سياسة الجامعة الإسلامية على العالم العربي والإسلامي

أ. الأثر الفكري

أسهمت سياسة الجامعة الإسلامية في تنشيط الحراك الفكري في العالم الإسلامي، وفتحت نقاشات واسعة حول:

- العلاقة بين الدين والسياسة.
 - مفهوم الأمة الإسلامية ووحدةها.
 - أسباب تخلف المسلمين وسبل النهوض.
 - العلاقة بين الخلافة والحكم الدستوري.
- وقد أثمرت هذه النقاشات عن أعمال فكرية مهمة شكّلت مرجعيات أساسية في الفكر الإسلامي الحديث².

ب. الأثر السياسي

- مهّدت الجامعة الإسلامية لظهور حركات إسلامية سياسية لاحقة، منها:
- حركة الخلافة في الهند (1919-1924)
 - جمعية الإخوان المسلمين في مصر (1928) التي أسسها حسن البنا وتبنّت فكرة إعادة الخلافة كهدف بعيد المدى.
 - حركات إسلامية أخرى في مختلف أنحاء العالم الإسلامي³.

¹ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 337.

² عبد الإله بلقزيز، الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2004، ص 65.

³ ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، تر: عبد السلام رضوان، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1985، ص 47.

08. أنماط النخبة في مواجهة الاستعمار

أ- النخبة الوسيطة (الإدارية/الاندماجية)

تمثل هذا النمط في شريحة من الأعيان والموظفين والوسطاء الذين انخرطوا في الأجهزة الإدارية الاستعمارية أو تكتفوا معها دفاعاً عن مصالحهم أو حداً من الأضرار عن مجتمعاتهم. وقد ظهر هذا النمط بوضوح في الجزائر حيث تشكلت نخبة من "القياد" و"الباشوات" المحليين العاملين في خدمة الإدارة الفرنسية، وفي المغرب ضمن بعض عناصر النخبة المخزنية المتعاونة مع الحماية، وفي تونس ضمن شريحة من الأعيان البورجوازيين. ولا ينبغي إصدار حكم مطلق على هذا النمط، إذ كان في بعض حالاته ضرباً من الانتهازية والتواطؤ، وفي حالات أخرى ضرباً من البراغماتية الدفاعية¹.

ب- النخبة الإصلاحية الحقوقية (المطلبية)

تشكل هذا النمط بصورة رئيسية من الجيل الأول لخريجي التعليم الحديث (الفرنكفوني أو المزدوج). وقد رفع هذا الجيل مطالب تتعلق بالمساواة القانونية والحقوق المدنية والإصلاح الإداري، ضمن إطار المنظومة الاستعمارية دون التشكيك فيها في مرحلة أولى. وقد تجلّى هذا النمط في:

• **الجزائر:** مع حركة "الشبان الجزائريين" التي طالبت بالمساواة والتجنيس، وأصدرت

عرائض ومذكرات، وكان من أبرز وجوهها الدكتور محمد بن رحال والشيخ عبد

القادر المجاوي والمحامي أحمد بوضربة.²

- **تونس:** مع حركة "الشباب التونسي" التي تأسست نحو 1907، وضمت شخصيات من

أمثال علي باش حانبة والشيخ الطاهر بن عاشور.³

ج- النخبة الإصلاحية الدينية والثقافية

قاومت هذه النخبة الاستعمار من خلال المحافظة على الهوية العربية الإسلامية عبر التعليم والصحافة والفتوى. وكانت مؤسسات التعليم التقليدي (الزيتونة في تونس، القرويين في المغرب، الزوايا في الجزائر) معاقلها الرئيسية. وقد برز في هذا النمط:

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 200.

² المرجع نفسه، ص 260.

³ الحبيب بوعصيدة، الحركة الوطنية التونسية: الجذور والنشأة، تونس، دار محمد علي الحامي، 2006، ص 88.

- في تونس علماء الزيتونة الذين تصدّوا لمشاريع التغريب الثقافي، وكان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) من أبرز رموزها¹.
- في الجزائر تيار عالم الدين الذي مثله لاحقاً الشيخ عبد الحميد بن باديس (1940-1889) والذي بدأت ملامحه تتشكل خلال هذه المرحلة².
- في المغرب العلماء والزوايا الذين قاوموا التغلغل الثقافي الفرنسي وأدوا دور الحاضنة الاجتماعية للمقاومة.

د- نخبة المقاومة المسلحة

- برز هذا النمط بصورة جلية في ليبيا والمغرب حيث أفرز الإخضاع العسكري قيادات ميدانية ارتبطت بالزعامات الدينية (السنوسية في ليبيا) والقبلية والمحلية. وقد تميّزت هذه النخبة بشرعيتها المستمدة من الميدان والمقاومة لا من التعليم الحديث أو الوظيفة الإدارية.
- ليبيا أسهمت الحركة السنوسية بقيادة أحمد الشريف السنوسي في توحيد المقاومة وإضفاء الشرعية الدينية عليها، وبرزت شخصية عمر المختار (1862-1931) ببطولاته الميدانية التي أسست لرمزية وطنية استمرت طويلاً.
 - المغرب قاد شخصيات مثل أحمد الهيبة (في الجنوب) والشريف محمد بن عبد الكريم الخطابي (في الريف لاحقاً) مقاومات عسكرية شكّلت نموذجاً مختلفاً من النخبة لا تستمد شرعيتها من التعليم الحديث أو الخطوة الإدارية³.

¹ محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1988 (إعادة نشر)، ص 60.

² تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1981، ص 68.

³ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 220.

الفصل الثاني:

النخب المغاربية

وموقفها من الجامعة الإسلامية

الفصل الثاني: النخب المغاربية وموقفها من الجامعة الإسلامية

المبحث الأول: طبيعة النخب المغاربية

أولاً: النخب الدينية في المغرب العربي (1900-1919)

01- المؤسسات الحاضنة للنخبة الدينية في المغرب العربي

أ. جامعة الزيتونة في تونس

تُعدّ جامعة الزيتونة أقدم المؤسسات التعليمية الإسلامية في المغرب العربي وأكثرها نفوذاً، وقد ظلت في مطلع القرن العشرين تؤدي دورها التعليمي والديني رغم ضغوط الحماية الفرنسية. وكانت الزيتونة تستقطب طلاباً من مختلف أنحاء المغرب العربي (الجزائر وليبيا والمغرب) مما جعلها فضاءً فكرياً وعلمياً بين أبناء المنطقة. وقد شهدت هذه المرحلة جدلاً واسعاً داخل أروقها بين المحافظين على المناهج التقليدية والمطالبين بتجديدها لمواكبة متطلبات العصر. وقد كان من أبرز خريجيها في هذه الحقبة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور¹.

ب. جامعة القرويين في المغرب

ظلت جامعة القرويين بفاس المرجعية العلمية الكبرى في المغرب الأقصى، غير أنها كانت في مطلع القرن العشرين تعاني من جمود منهجي واضح أشار إليه المصلحون المغاربة لاحقاً. وقد حرص السلطان المولى عبد الحفيظ (1908-1912) على الاستعانة

¹ محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 35.

بعلمائها لإضفاء الشرعية الدينية على تصديّهِ للنفوذ الأوروبي قبيل الحماية، فصدرت فتوى الجهاد ضد الحماية عام 1912 من بعض علماء المغرب، وإن أثر بعضهم الصمت تحت وطأة الأمر الواقع¹.

ج. الزوايا والكتاتيب في الجزائر وليبيا

في غياب مؤسسات تعليمية دينية كبرى على غرار الزيتونة والقرويين، اضطلعت الزوايا في الجزائر وليبيا بدور التعليم الديني والتنشئة الاجتماعية والقيادة الروحية. وكانت هذه الزوايا شبكةً اجتماعية متكاملة تجمع بين التعليم والعبادة والتكافل الاجتماعي والقيادة السياسية في أحيان كثيرة².

د. الطريقة السنوسية في ليبيا

تستحق الطريقة السنوسية مكانةً خاصة إذ تجاوزت وظيفتها حدود الطرق الصوفية الكلاسيكية لتصبح مؤسسةً شاملة تضم في آنٍ واحد مراكز تعليمية (الزوايا السنوسية) وشبكات تجارية وقيادة سياسية وقوة عسكرية. وقد أسسها محمد بن علي السنوسي (1787-1859) في القرن التاسع عشر، وورث قيادتها في مطلع القرن العشرين أحمد الشريف السنوسي الذي قادها في مواجهة الاحتلال الإيطالي عام 1911³.

¹ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 171.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، المرجع السابق، ج1، ص 179.

³ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 98.

02- التيارات الفكرية داخل النخبة الدينية المغاربية

أ. التيار المحافظ التقليدي

تمسك هذا التيار بالتراث الفقهي الموروث ورفض كل تجديد، معتبراً أن العودة إلى الأصول الصحيحة كافية لمعالجة المشكلات. وقد كان هذا التيار الأوسع انتشاراً بين علماء المدارس التقليدية، وإن أبدى في الوقت ذاته مقاومة ثقافية صامتة للتغريب الاستعماري من خلال الحفاظ على مناهجه ومؤسساته. وقد انتقد هذا التيار الأدواء الداخلية للمجتمع¹.

ب. التيار الإصلاحي المتأثر بالشرق

ظهر في المغرب العربي تيار إصلاحي ديني تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ورأى ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي لمواجهة تحديات العصر دون التخلي عن الثوابت. وقد وجد هؤلاء المصلحون في مجلة "المنار" القاهرية منبراً فكرياً يجمعهم بنظرائهم في المشرق، وأسهمت رحلاتهم إلى مصر والحجاز في تعزيز هذه الصلة الفكرية².

03- أبرز أعلام النخبة الدينية الإصلاحية في المغرب العربي (1900-1919)

أ. الشيخ عبد العزيز الثعالبي (تونس، 1876-1944).

جمع عبد العزيز الثعالبي بين التكوين الديني الزيتوني والانخراط في النضال السياسي الوطني. وقد كان في مطلع القرن العشرين من الشخصيات الأكثر حضوراً في الفضاء العام

¹ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق ص 81.

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، ط3، 1977، ص 300.

التونسي، إذ أسّس جمعيات ثقافية وتعليمية وشارك في الحركة الصحفية. وكان تأثيره في الجامعة الإسلامية ملموساً، إذ كان يرى أن الهوية الإسلامية لتونس هي أهم دروعها في مواجهة الاستعمار الفرنسي. وقد تتوج نشاطه لاحقاً بتأسيسه الحزب الحر الدستوري التونسي عام 1920¹.

ب. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (تونس، 1879-1973)

يُعدّ محمد الطاهر بن عاشور من أبرز أعلام النخبة الدينية الإصلاحية في تونس والمغرب العربي كله. تلقّى تعليمه في جامعة الزيتونة وتأثر بأفكار الإصلاح الإسلامي القادمة من المشرق. وفي مطلع القرن العشرين كان قد بدأ مشروعه الفكري الكبير القائم على تجديد أصول الفقه الإسلامي من خلال إحياء مقاصد الشريعة، الذي سيتوج لاحقاً بكتابه الشهير "مقاصد الشريعة الإسلامية" (1946). وقد وصف في كتابه "أليس الصبح بقريب" أزمة جامعة الزيتونة وأحوال تونس في ظل الحماية بنظرة نقدية إصلاحية عميقة، مؤكداً ضرورة إصلاح التعليم الديني كمدخل أساسي لنهضة المجتمع².

ج. الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري، 1889-1940م.

وإن كان عبد الحميد بن باديس سيبرز بصورة أوضح في مرحلة ما بعد 1919، فإن السنوات الأولى من القرن العشرين شهدت تشكّل وعيه الإصلاحي وتكوينه العلمي. فقد تلقّى دراسته في جامعة الزيتونة بتونس ثم في الحجاز، حيث تأثر بأفكار الإصلاح الإسلامي ولا

¹ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تونس، دار سحر للنشر، 2001، ص 48.

² محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 77.

سيما بشيخه الشيخ **محمد النخلي القيرواني** الذي وجّهه نحو الفكر الإصلاحية. وقد عاد إلى الجزائر وفي ذهنه مشروع واضح لإصلاح التعليم والنهوض بالهوية العربية الإسلامية للجزائريين¹.

د. أحمد الشريف السنوسي (ليبيا، 1873-1933م).

قاد **أحمد الشريف السنوسي** الطريقة السنوسية وقيادة المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي في الفترة 1911-1918، مستمداً شرعيته من مكانته الدينية كزعيم روحي وقائد ميداني في آن واحد. وقد كان موقفه من الجامعة الإسلامية موقفاً تأييدياً عملياً، إذ طلب الدعم من الدولة العثمانية ومن العالم الإسلامي بأسره، ووظّف خطاب التضامن الإسلامي لتعبئة المقاومة وإضفاء الشرعية عليها².

ثانياً: النخب السياسية والإدارية في المغرب العربي 1900-1919

01- النخب السياسية والإدارية في البلدان المغاربية

أ. الجزائر: من "الشبان الجزائريين" إلى الأمير خالد

في الجزائر أنتج التعليم الفرنسي الممتد منذ منتصف القرن التاسع عشر جيلاً من المتعلمين الجزائريين الذين اكتسبوا أدوات الخطاب الحقوقي الفرنسي واستخدموها للمطالبة بحقوق مجتمعهم. وقد شكّل هؤلاء ما عُرف بـ"الشبان الجزائريين"، وهو تعبير فضفاض يشمل مجموعة من النخب المتعلمة التي أبدت في مطلع القرن العشرين نشاطاً سياسياً ملحوظاً.

¹ تركي رابح، المرجع السابق، ص 76.

² محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 202.

وقد كان خطابهم في جوهره خطاباً مساوياً يطالب بتطبيق مبادئ الثورة الفرنسية (الحرية والمساواة والإخاء) على الجزائريين المسلمين.¹

من أبرز وجوه هذا التيار في مطلع القرن العشرين:

- **الدكتور محمد بن رحال (1858-1928)** طبيب وكاتب جزائري تلقى تعليمه في

فرنسا، وكان من أوائل الجزائريين الذين وظّفوا الصحافة الفرنسية للدفاع عن حقوق الجزائريين. وقد حرص على الجمع بين الانتماء الإسلامي والمطالبة بالمساواة القانونية.

- **أحمد بوضربة:** ولد سنة 1786م هو من أعيان العاصمة ومتقفيها في بدايات الاستعمار

الفرنسي. كان عضواً بارزاً في "لجنة المغاربة" (اللجنة الإفريقية) عام 1833، وشارك في

صياغة العرائض التي تطالب برفع المظالم عن الجزائريين وحماية أملاكهم.²

كان للحرب العالمية الأولى 1914-1918م أثر عميق في تشكيل الوعي السياسي

للنخبة الجزائرية. فقد جندت فرنسا نحو **173,000 جزائري** للقتال في الحرب، فضلاً عن

مئات الآلاف الذين فُرض عليهم العمل في المصانع الفرنسية.

كشفت تجربة الجنود الجزائريين في أوروبا عن هوة سحيقة بين خطاب فرنسا عن

الحرية والمساواة وواقعهم المعاش في الجزائر.³

¹ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 255.

² أحمد دراوي: **الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، إشراف مولود عويمر ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2007-2008، ص 64.

³ أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ج1، ص 330.

برز في نهاية هذه الحقبة الأمير خالد بن الهاشمي 1875-1936م حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، ليمثل صوتاً سياسياً أكثر جرأة ووضوحاً في المطالبة بحقوق الجزائريين. فقد شارك في الحرب ضابطاً في الجيش الفرنسي، ثم عاد ليطالب بإصلاحات جوهرية، بل ذهب إلى مؤتمر الصلح في باريس 1919م ليرفع مطالب الجزائريين أمام المجتمع الدولي مستنداً إلى مبادئ ولسون في حق تقرير المصير. وقد جمع خطابه بين الانتماء الإسلامي والمطالبة الوطنية الجزائرية ..¹

ب. تونس: النخب السياسية التونسية

شهدت تونس في مطلع القرن العشرين نشأة تيار سياسي حديث عُرف بـ"الشباب التونسي"، يُعدّ من أوائل التنظيمات السياسية الحديثة في المغرب العربي. وقد تشكّل هذا التيار حول عام 1907 من شريحة المتعلمين التونسيين الذين تلقّوا تعليمهم في المدرسة الصادقية (التي أسسها خير الدين التونسي عام 1875 جامعةً بين التعليم التقليدي والحديث) أو في الجامعات الفرنسية.²

من أبرز وجوه الشباب التونسي في هذه المرحلة:

• علي باش حانبة: (1876-1918) صحفي ومثقف تونسي يُعدّ من مؤسسي

التيار، أسّس جريدة "لو تونيزيان (Le Tunisien)" بالفرنسية عام 1907 ثم

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 370.

² الحبيب بوعصيدة، المرجع السابق، ص 72.

نسختها العربية. وقد كان خطابه يجمع بين المطالبة بالإصلاح داخل نظام الحماية والحفاظ على الهوية الإسلامية لتونس.

• الشيخ عبد العزيز الثعالبي: الذي جمع بين التكوين الزيتوني والنشاط السياسي الحديث.

• الباشا محمد العزيز بوعتور: من الأعيان التونسيين الذين حاولوا التوفيق بين مصالح نخبة الأعيان وضرورات الإصلاح.¹

إلى جانب تيار الشباب التونسي، كانت ثمة نخبة إدارية ارتبطت بديوان الباي (حكام تونس من أسرة حسين) وبجهاز الحماية. وقد أثر كثير من أعيان هذه النخبة الانتهاج البراغماتي، مستخدمين علاقاتهم مع الإدارة الفرنسية للحفاظ على مصالح المجتمع التونسي حيثما أمكن، دون المجاهرة بالفرض الصريح لنظام الحماية.²

ج. ليبيا: النخب السياسية بين الاحتلال الإيطالي والمقاومة الوطنية (1911-1919)

أحدث الغزو الإيطالي عام 1911 فراغاً نخبياً عميقاً في ليبيا، إذ انهارت الإدارة العثمانية التي كانت تعتمد على نخبة بيروقراطية صغيرة في المدن الساحلية. وقد وجد كثير من هؤلاء أنفسهم أمام ثلاثة خيارات: مغادرة البلاد (وهو ما فعله بعضهم)، أو الانضمام إلى المقاومة، أو التعامل مع الإدارة الإيطالية الجديدة.³

¹ الحبيب بوعصيدة، المرجع السابق، ص 117.

² عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تونس، دار سحر للنشر، 2001، ص 95.

³ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 140.

في غياب نخبة سياسية مدنية منظمة تصدّرت الزعامات القبلية والدينية المشهدة السياسي الليبي. وقد أفرز مسار المقاومة نخباً جديدة استمدت شرعيتها من الميدان: قادة عسكريون، شيوخ قبائل، ورجال من الطريقة السنوسية. ومن أبرز هذه الشخصيات في هذه المرحلة:

- **سليمان الباروني (1870-1940)** عالم ديني وشاعر وسياسي من جبل نفوسة، قاد مقاومة الاحتلال الإيطالي وكان عضواً في البرلمان العثماني قبل الاحتلال. وقد جمع في شخصيته بين التكوين العلمي والقيادة السياسية والعسكرية.
 - **أحمد الشريف السنوسي**: زعيم الطريقة السنوسية وقائد المقاومة الجهادية.
 - **عمر المختار (1862-1931)** الذي بدأت تتشكل قيادته العسكرية في هذه المرحلة.¹
- في نهاية الحرب العالمية الأولى وتحت ضغط المقاومة الليبية المستمرة وتغيّر موازين القوى إثر الحرب.

02. القواسم المشتركة والاختلافات بين النخب السياسية المغاربية

أ- القواسم المشتركة:

1. الوقوف في مواجهة الصدمة الاستعمارية الكبرى :

- تشابهت النخب باختلاف أقاليمها في مواجهة المد الاستعماري المباشر (الاحتلال الفرنسي للجزائر المتواصل، تونس 1881، إيطاليا في ليبيا 1911، وفرنسا وإسبانيا في المغرب 1912). تراوحت استجابة هذه النخب

¹ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 200.

بين التأطير الروحي والشرعي للمقاومة المسلحة، أو محاولة استكشاف سبل الرفض السلمي .

2. المرجعية الدينية والإصلاحية :

○ هيمنت المؤسسة الدينية التقليدية والزوايا والأعيان على المشهد النخبوي، مع ظهور طلائع التأثير بالفكر الإصلاحي المشرقي (دعوة الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني). رأت هذه النخب في العودة إلى الهوية الإسلامية والعربية درعاً لحماية المجتمعات المغاربية من الذوبان والتتريك أو التفرنس .

3. أزمة تجنيد الأهالي وتداعيات الحرب العالمية الأولى:

○ تقاسمت النخب المغاربية ضغوط الحرب العالمية الأولى؛ حيث فرضت القوى الاستعمارية (خاصة فرنسا في الجزائر وتونس والمغرب) قوانين التجنيد الإجباري وإرسال الجنود المغاربة لجهات القتال في أوروبا، واستنزاف الموارد الغذائية، مما أفرز حالة احتقان عامة جعلت النخب تقف أمام اختبار إنساني واجتماعي عسير لإغاثة السكان وحماية الأهالي .

4. ضعف العمل السياسي المنظم وغلبة ردود الفعل التلقائية :

○ اتسمت هذه المرحلة بغياب الأحزاب السياسية بالمعنى الحديث، حيث كانت النخب تتحرك في شكل "عرائض مطلبية"، أو "جمعيات ثقافية واقتصادية ضيقة"، أو من خلال قيادة القبائل في جهات القتال العسكري (مثل المقاومة المسلحة في الأطلس المغربي، والجنوب التونسي، وليبيا)¹ .

¹ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 138.

ب- الاختلافات والتباينات بين النخب المغاربية:

رغم القواسم المشتركة، تباينت طبيعة النخب وتكتيكاتها باختلاف السياق القانوني والسياسي لكل بلد خلال هذه العقود :

1. تونس: بروز "نخبة الشباب التونسي" والحادثة المبكرة :

◦ تميزت تونس في هذه الفترة (بدايات القرن العشرين وتحديداً تأسيس حزب "الشباب التونسي" عام 1907 بقيادة علي باش حامية وعبد العزيز الثعالبي) بظهور نخب مدنية تلقت تعليماً مزدوجاً (عربي-فرنسي)، وانخرطت في مطالبات سياسية واضحة ومبكرة تشمل الحقوق المدنية، الصحافة، وتعديل نظام الحماية، وهو مستوى من التنظيم السياسي لم يكن متوفراً بذات النمط في مناطق أخرى بالمنطقة في تلك اللحظة .

2. الجزائر: ثنائية "النخب التقليدية" و"النخب المفرنسة"

◦ في الجزائر، وبحكم الاستعمار الممتد منذ 1830، انقسمت النخب تدريجياً قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى بين نخب تقليدية (علماء وأعيان يحافظون على الموروثة)، ونخب شابة مفرنسة بدأت تطالب بإدماج الجزائريين (أو منحهم حقوق المواطنة والتعليم والتصويت مقابل أداء الخدمة العسكرية التي فرضت في 1912)، وهي المطالب التي تبلورت أكثر نهاية الحرب وبداية العشرينيات¹ .

¹ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 142.

3. المغرب: نخب المدن العتيقة والارتباط العضوي بزعامات المقاومة القبلية :

- مع فرض الحماية سنة 1912، كانت النخب المغربية الناشئة في فاس، تطوان، ومراكش متركزة حول جامعة القرويين والزوايا الدينية. وتزامنت الفترة (1900-1919) مع معارك مقاومة كبرى قادتها النخب التقليدية وقادة القبائل (مثل أحمد الهيبة في الجنوب، وموحا وأحمو الزياني في الأطلس المتوسط صاحب معركة الهري 1914)، مما جعل الطابع الغالب على النخبة المغربية هو المزج بين المقاومة المسلحة والدفاع عن الثوابت الدينية والشرعية للسلطنة¹.

4. ليبيا: النخبة السنوسية والقيادات القبلية-الدينية في مواجهة الغزو الإيطالي (1911):

- في ليبيا، ومع الغزو الإيطالي سنة 1911، اتخذت النخبة طابعاً مختلفاً تماماً؛ حيث قادت الحركة السنوسية والقيادات الدينية والقبلية حركة الجهاد المنظم في برقة وفي طرابلس، فكانت النخبة هنا ممثلة في شيوخ الطرق الصوفية والقبائل الذين أداروا حرب استنزاف طويلة ضد الإيطاليين، مدعومين برابطة إسلامية عابرة للحدود مع الدولة العثمانية قبل انحسارها.²

¹ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 148

² المرجع نفسه، ص 152.

ثالثاً: النخب الثقافية والصحفية في المغرب العربي (1900-1919)

01. الإطار العام للصحافة العربية في المغرب العربي

نشأت الصحافة العربية في المغرب العربي في ظروف بالغة الصعوبة؛ إذ فرضت الإدارات الاستعمارية رقابةً مشددة على المطبوعات، وخضعت الصحف العربية لقوانين صارمة تُجيز تعليقها أو مصادرتها عند أدنى تجاوز. وعلى الرغم من هذه القيود، استطاعت الصحافة العربية أن تفرض حضورها كمنبر للتعبير عن مطالب المجتمعات المغاربية وهواجسها. وقد تفاوتت درجة الحرية الصحفية بين بلد وآخر، فكانت تونس الأكثر انفتاحاً نسبياً بسبب طبيعة نظام الحماية الذي أبقى على بعض هوامش التعبير، في حين كانت الجزائر الأشد تقييداً بسبب طبيعة الاستعمار المباشر.¹

02. النخب الثقافية والصحفية في المغرب العربي

أ. الجزائر: الصحافة في مواجهة الإدماج الثقافي

واجهت الصحافة العربية في الجزائر تحدياً مزدوجاً: من جهة الرقابة الفرنسية الصارمة، ومن جهة أخرى منافسة الصحافة الفرنكفونية الكثيفة المدعومة من الإدارة الاستعمارية والمستوطنين. وقد عكست هذه المنافسة الثقافية عمق التحدي الذي واجهه الكتاب والصحفيون الجزائريون الراغبون في الكتابة باللغة العربية والتعبير عن قضايا مجتمعهم.²

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 75.

² المرجع نفسه، ص 100.

تعددت المنابر الصحفية التي حملت الخطاب العربي الإسلامي في الجزائر خلال هذه المرحلة:

- **جريدة "المبشّر"**: وهي الجريدة الرسمية الفرنسية التي كانت تُصدر بالعربية، وإن كانت تخدم الأجندة الاستعمارية في جوهرها. غير أن عدداً من الكتّاب الجزائريين استخدموا صفحاتها لنشر مقالات ثقافية وأدبية عربية، محوّلين إياها أحياناً إلى منبر موارب للتعبير عن الهوية.
 - **جريدة "الفاروق"**: صدرت في الجزائر العاصمة وكانت من أبرز الجرائد العربية التي عبّرت عن مطالب الجزائريين المسلمين.
 - **جريدة "الصراط المستقيم"**: دافعت عن الهوية الإسلامية وطالبت بإصلاح التعليم الديني.
 - **مجلة "المنار"**: وإن كانت تصدر من القاهرة، فقد كانت تصل إلى الجزائر وتُقرأ على نطاق واسع في الأوساط العلمية، مما جعلها جسراً ثقافياً بين المشرق والمغرب.¹
- من أبرز المثقفين الجزائريين الذين أسهموا في تشكيل الوعي الثقافي خلال هذه المرحلة:
- **الشيخ محمد المكي بن باديس (والد الشيخ عبد الحميد)**: من الأعيان القسنطينيين الذين جمعوا بين المكانة الاجتماعية والاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية.
 - **الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914)** عالم وكاتب جزائري درّس في المدارس الفرنسية-العربية وأسهم في النقاش الفكري حول الإصلاح التعليمي.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 120.

- **محمد بن مصطفى الخياطي:** شاعر وأديب ساهم في الحفاظ على اللغة العربية وآدابها في مواجهة التفريس الثقافي.¹

في غياب صحافة عربية حرة قوية، اضطلع التعليم الحر بدور ثقافي محوري في الجزائر. فقد كانت الزوايا والكتاتيب ومجالس العلم في المساجد منابر غير رسمية للثقافة العربية الإسلامية، تحفظ فيها الذاكرة الجماعية وتُروى القصائد العربية وتُدرّس العلوم الإسلامية بعيداً عن مناهج المدرسة الفرنسية. وقد شكّل هذا التعليم الموازي حاضنة أساسية لحركة الإصلاح التي ستنتقل بصورة منظمة بعد 1919.²

ب. تونس: الصحافة العربية الأكثر نضجاً

تميّزت تونس في هذه المرحلة ببيئة ثقافية أكثر ثراءً وانفتاحاً مقارنةً بباقي بلدان المغرب العربي.

- **جريدة "الحاضرة":** أسّسها علي بوشوشة عام 1888 وكانت من أوائل الجرائد العربية الخاصة في تونس. ورغم أن إصدارها توقف، فإن تأثيرها استمر في تشكيل نموذج الصحافة العربية التونسية. وقد كانت تعالج قضايا الإصلاح والهوية والعلاقة مع الحماية.

- **جريدة "التقري":** كانت لسان حال حركة الشباب التونسي وعبرت عن مطالب الجيل الجديد من المتعلمين.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 158.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، المرجع السابق، ج1، ص 196.

- **جريدة "لو تونيزيان" (Le Tunisien)** "أسسها علي باش حانبة عام 1907 بالفرنسية ثم أصدر نسختها العربية، وكانت من أكثر المنابر جرأة في انتقاد سياسات الحماية.¹
- **جريدة "سبيل الرشاد"**: "دافعت عن الهوية الإسلامية وقضايا المسلمين.
- من أبرز المثقفين التونسيين الذين أسهموا في تشكيل الوعي الثقافي
- **حانبة: (1876-1918)** يُعدّ من أبرز رجالات الصحافة والثقافة في تونس مطلع القرن العشرين. درس في المدرسة الصادقية ثم واصل تعليمه في فرنسا، وأصبح أستاذاً في المدرسة الصادقية. أسس جريدة "لو تونيزيان" ونسختها العربية، وكان يرى أن تونس بإمكانها الجمع بين أصالتها الإسلامية والانفتاح على الحضارة الحديثة.²
- **الطاهر الحداد (1899-1935)** : مثقف وكاتب تونسي تخرّج من الزيتونة لكنه انفتح على الأفكار الحديثة. وإن كان نشاطه الرئيسي قد جاء بعد 1919، فإن تكوينه الفكري تشكّل في هذه المرحلة. وقد أثارت أفكاره حول المرأة والعمل جدلاً واسعاً في المجتمع التونسي.³

ج- المغرب: الثقافة العربية في مواجهة الحماية

- شهد المغرب في مطلع القرن العشرين وبُعيد فرض الحماية (1912) تطوراً محدوداً في الصحافة العربية، نظراً للرقابة المشددة التي فرضها المقيم العام الفرنسي ليوتي على المطبوعات. وقد أدت هذه القيود إلى أن يتخذ الخطاب الثقافي المغربي أشكالاً بديلة:

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، المرجع السابق، ج1، ص 97.

² المرجع نفسه، ص 120.

³ الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، تونس، دار محمد علي الحامي، ط1، 1930، المقدمة، ص 30.

المجالس العلمية، والمكاتبات بين العلماء، والرحلات الأدبية، والتدريس في القرويين والمدارس التقليدية.¹

ظل العلماء والمتقنون المرتبطون بجامعة القرويين المنتجين الرئيسيين للثقافة العربية في المغرب، غير أن إنتاجهم الثقافي كان في معظمه شرحاً وتعليقاً على التراث الفقهي الكلاسيكي، مع بعض الإسهامات في الأدب والشعر. وقد أبدى عدد من علماء القرويين موقفاً رافضاً للحماية أو متحفظاً عليها، معبرين عن ذلك أحياناً في كتاباتهم وخطبهم.²

عبد الله العروي في دراسته للنخبة المغربية تلك الهوة العميقة التي كانت تفصل بين المثقف التقليدي (العالم الزيتوني القروي) والمثقف الجديد (خريج المدارس الفرنسية). وقد أدى هذا الانقسام الثقافي إلى خطابين متوازيين لا يلتقيان: خطاب ديني تقليدي محافظ، وخطاب تحديثي حديث يكتب أحياناً بالفرنسية أكثر مما يكتب بالعربية.³

د. ليبيا: الثقافة في ظل الحرب والاحتلال

أحدث الاحتلال الإيطالي 1911م ضربةً قاسيةً للحياة الثقافية الليبية، إذ توقفت المطبوعات العثمانية، وأغلق المرصد العلمي العثماني، وتراجع التعليم بشكل حاد. وقد عانت الحياة الثقافية من انقطاع مؤلم في ظل الحرب والنزوح والاضطرابات الأمنية.⁴

¹ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 250.

² عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 66.

³ المرجع نفسه، ص 155.

⁴ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 90.

رغم الأوضاع الصعبة، برزت شخصيات ثقافية ليبية حملت راية الهوية العربية الإسلامية:

- الشيخ سليمان الباروني (1870-1940) يُعدّ من أبرز المثقفين الليبيين في هذه المرحلة، جمع بين العلم الديني والشعر والنضال السياسي والعسكري. كان عضواً في البرلمان العثماني وأسّس مطبعة في طرابلس قبيل الاحتلال، ونظّم شعراً حماسياً يدعو إلى الجهاد ومقاومة الاحتلال الإيطالي.¹

- الشيخ محمد الطاهر الزاوي: 1890-1986 مؤرخ وكاتب ليبي بدأ نشاطه الفكري في هذه المرحلة، وأسهم لاحقاً في توثيق تاريخ المقاومة الليبية في مؤلفات موثقة تُعدّ من أهم المصادر الليبية في هذا الشأن.

في ظل الاضطراب الذي خلفه الاحتلال، اضطلعت الزوايا السنوسية المنتشرة في أنحاء ليبيا بدور ثقافي وتعليمي بالغ الأهمية؛ إذ كانت هذه الزوايا مدارس تعليمية تحفظ فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية وترويهما للأجيال، مقاومةً بذلك مشاريع التتليين الثقافي الإيطالي.²

¹ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 150.

² المصدر نفسه، ص 180.

المبحث الثاني: تفاعل النخب المغاربية مع فكرة الجامعة الإسلامية

لم يكن تفاعل النخب المغاربية مع فكرة الجامعة الإسلامية تفاعلاً بسيطاً أحادي الاتجاه، بل كان علاقةً جدلية معقدة تشكّلت في ظل ضغوط استعمارية متباينة وتكوينات فكرية متنوعة وظروف موضوعية مختلفة من بلد إلى آخر.

أبدت شرائح أخرى تحفظات جدية على جدوى الارتباط بالخلافة العثمانية المتداعية أو على واقعية هذا المشروع في معالجة الإشكاليات الآنية للمجتمعات المغاربية. وبين التأييد والتحفظ، اشتغلت النخب بوسائل متعددة لنشر هذه الفكرة وتداولها، أبرزها الصحافة والتعليم والرحلات..¹

أولاً: مواقف التأييد والدعم

01- التأييد الديني الرمزي: الولاء للخلافة بوصفها رمزاً للوحدة

كان أوسع مواقف التأييد انتشاراً في أوساط النخب المغاربية هو التأييد الديني الرمزي للخلافة العثمانية بوصفها المؤسسة الجامعة لأمة الإسلام. وقد استند هذا الموقف إلى أساس عقدي راسخ تجذّر في أذهان العلماء والمتعلمين ومن هنا كانت فكرة التضامن مع الخلافة العثمانية تنبع لدى عامة المسلمين من وجدانهم الديني قبل أن تكون موقفاً سياسياً محسوباً.²

¹ عبد القادر زبادية، الجامعة الإسلامية والتدخل الأجنبي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، ص 188.

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، ط3، 1977، ص 311.

- **الدعاء للسلطان في خطبة الجمعة:** كانت المساجد في الجزائر وتونس والمغرب وليبيا تُدرج الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة بوصفه أمير المؤمنين، وكان هذا الطقس الأسبوعي يُجدّد الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة ذات قيادة روحية مشتركة.
- **التبرع لصالح الدولة العثمانية:** في أوقات الأزمات كالحروب البلقانية (1912-1913) والحرب العالمية الأولى (1914-1918)، نظّمت المساجد والجمعيات في بلدان المغرب العربي حملات لجمع التبرعات لصالح المجهود الحربي العثماني.
- **إحياء ذكرى الانتصارات والثناء على الهزائم:** كانت الأحداث الكبرى التي تمس الدولة العثمانية (كسقوط المدن الإسلامية أو الانتصار في معركة ما) تُستقبل بفاعلية شعبية واسعة في المغرب العربي.¹

02- **التأييد السياسي: الجامعة الإسلامية أداة لمقاومة الاستعمار**

ذهب المصلحون الدينيون في المغرب العربي إلى أبعد من التأييد الرمزي؛ إذ رأوا في الجامعة الإسلامية مشروعاً نهضوياً متكاملًا لا يقتصر على التضامن السياسي بل يشمل إصلاح التعليم والفكر الديني والبنية الاجتماعية. وقد تأثر هؤلاء المصلحون بخطاب جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.²

- **عبد العزيز الثعالبي (1876-1944):** من أبرز نماذج التأييد السياسي لفكرة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي. فقد جمع في خطابه بين الانتماء الإسلامي الجامع

¹ عبد القادر زبّاد، المرجع السابق، ص 228.

² محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، القاهرة، دار الشروق، 1993، ج1، ص 317.

والهوية الوطنية التونسية الخاصة، يرى أن استعادة الهوية الإسلامية لتونس هي الشرط الأول لمقاومة الاستعمار.¹

- **أحمد الشريف السنوسي** استمد شرعيته في قيادة المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي من الانتماء الإسلامي الجامع، وطلب الدعم من الدولة العثمانية ومن المسلمين في كل مكان باسم التضامن الإسلامي. وقد استجاب لهذا النداء متطوعون من مصر والسودان وتونس والجزائر، بل إن ضباطاً عثمانيين من أمثال أنور بك ومصطفى كمال توجهوا إلى ليبيا للقتال إلى جانب المقاومة.²

- **أحمد الهبة** في المغرب وجد خطاب الجامعة الإسلامية صدقاً شعبياً واسعاً حين قرّرت فرنسا فرض الحماية عام 1912. فقد استخدم العلماء ورجال المقاومة لغة الجهاد الإسلامي لتعبئة القبائل ورفض الاستسلام للأمر الواقع. وقد جمعت مقاومة في الجنوب شعار الجهاد الإسلامي بالمطالبة بسيادة السلطان المغربي وحماية الأرض والدين في آن واحد.³

- في الجزائر فقد استخدمت النخب الدينية والثقافية هذا الخطاب لتأكيد أن الجزائريين ينتمون إلى حضارة إسلامية عريقة لا يمكن طمسها، وأن هويتهم العربية الإسلامية ليست عائقاً أمام التقدم بل هي ركيزته الأساسية.⁴

¹ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تونس، دار سحر للنشر، 2001، ص 94.

² محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 190.

³ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 220.

⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، المرجع السابق، ج1، ص 274.

03- التأييد الثقافي: الجامعة الإسلامية إطاراً للهوية المشتركة

رأت شرائح واسعة من النخب المغاربية في فكرة الجامعة الإسلامية سلاحاً ثقافياً فعالاً في مواجهة مشاريع الادعاءات الاستعمارية بتخلف المجتمعات الإسلامية وحاجتها إلى "الحضارة" الأوروبية.¹

أبدت النخب الثقافية المغاربية تضامناً ملموساً مع المسلمين في الأقطار الأخرى (الهند، البلقان، فلسطين) معبرة عن هذا التضامن عبر الصحافة والشعر والتبرعات المالية. وقد كان هذا التضامن تعبيراً عملياً عن تأييد فكرة الجامعة الإسلامية وإحساساً فعلياً بالمصير المشترك.²

ثانياً: وسائل نشر فكرة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي

01- الصحافة: المنبر الأوسع والأكثر تأثيراً

اضطلعت الصحافة العربية المحلية بدور محوري في تداول فكرة الجامعة الإسلامية ونشرها بين النخب المغاربية:

- جريدة "الحاضرة" مقالات تعالج قضايا العالم الإسلامي وتبرز فكرة التضامن الإسلامي.
- جريدة "الترقى" اهتماماً بالغاً بأحوال الدولة العثمانية والمسلمين في البلقان وليبيا، وكانت تنشر أخبار هذه المناطق بصورة منتظمة مما كوّن لدى القارئ التونسي وعياً بالمصير الإسلامي المشترك.³

¹ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 130.

² عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 255.

³ الحبيب بوعصيدة، المرجع السابق، ص 130.

- جرائد كـ* "الفاروق" * و* "الصراط المستقيم" * مساحات واسعة لتغطية أحوال المسلمين في مختلف الأقطار..¹

- "المنار" بخصائص جعلتها أداة نشر استثنائية كانت تُعنى بقضايا الإصلاح الإسلامي الشامل (التعليم، الفقه، السياسة، الاجتماع) مما جعلها مرجعاً متكاملًا لا مجرد صحيفة سياسية.

وصلت نسخها إلى الجزائر وتونس والمغرب وليبيا وكانت تُقرأ في الزوايا والمدارس الدينية والمجالس الثقافية..²

- جريدة "اللواء" لمصطفى كامل (1874-1908) التي جمعت بين الوطنية المصرية وخطاب الجامعة الإسلامية ووصلت إلى أوسع قراء في المغرب العربي.

- جريدة "المؤيد" التي كانت تنشر أخبار العالم الإسلامي وتدعو إلى التضامن.

- مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس عام 1884، وإن كانت قصيرة الأجل فإن أعدادها ظلت تُقرأ وتداول في المغرب العربي وتؤثر في النخب الدينية والثقافية..³

02- التعليم: الحاضنة الأعمق والأكثر استدامةً

أ- جامعة الزيتونة في تونس:

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 95.

² عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 261.

³ عبد الرحمن الرافي، مصطفى كامل: باعث الحركة الوطنية، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1984، ص 203.

كانت تستقطب طلاباً من مختلف بلدان المغرب العربي (الجزائر، ليبيا، المغرب الأقصى) مما جعلها فضاءً للتلاقح الفكري وتكوين شبكات نخبوية مغاربية.

أسهمت في تخريج جيل من العلماء المصلحين حملوا معهم إلى بلدانهم خطاباً إصلاحياً يمزج بين الأصالة الإسلامية والانفتاح على متطلبات العصر.¹

ب- الزوايا والكتاتيب في الجزائر وليبيا:

كانت الزوايا تُدرّس إلى جانب العلوم الدينية الأساسية التاريخ الإسلامي وسير الصحابة والفتوحات، مما كوّن وعياً بعظمة الحضارة الإسلامية وحتمية نهضتها.²

أسست النخب الإصلاحية مدارس حرة تُدرّس العربية والعلوم الإسلامية خارج السيطرة الاستعمارية. وقد كانت هذه المدارس في حد ذاتها تجسداً عملياً لفكرة الجامعة الإسلامية؛ إذ كانت تعمل على الحفاظ على الهوية الإسلامية.³

كان كثير من طلاب العلم الجزائريين يتوجهون إلى الزيتونة لاستكمال دراستهم الدينية، فيعودون إلى الجزائر محمّلين بأفكار إصلاحية جديدة وبشبكة علاقات مع العلماء التونسيين والمشاركة المقيمين في تونس.⁴

¹ محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 96.

² الصادق دهاش، المرجع السابق، ص 79.

³ تركي رابح، المرجع السابق، ص 140.

⁴ فايد البشير: قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب ارسلان، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009-2010. ص 121.

كان الأزهر يستقطب طلاباً من المغرب العربي كانوا يلتقون في رحابه بنظرائهم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.¹

توجّه عدد من النخبين المغاربة إلى إسطنبول ليلتقوا بالمسؤولين العثمانيين والمفكرين والصحفيين هناك، وكانت هذه اللقاءات تُعزز العلاقة بين المغرب العربي والمركز العثماني وتُضخّ الأفكار والمعلومات في الاتجاهين.

توجّه علماء وأعيان ليبيا إلى إسطنبول بعد الاحتلال الإيطالي طالبين الدعم.

زار عدد من أعيان تونس والمغرب إسطنبول في مطلع القرن العشرين.

كان بعض المثقفين والصحفيين المغاربة يَمرون بإسطنبول في طريقهم إلى المشرق أو القاهرة.²

شكّلت المراسلات البريدية والزيارات بين العلماء والمثقفين قناة هامة لتداول فكرة الجامعة الإسلامية:

رشيد رضا يُراسل علماء من الجزائر وتونس والمغرب ويتلقى منهم أسئلة وتساؤلات ينشر إجاباتها في "المنار".

شخصية كشكيب أرسلان (1869-1946) التي جمعت بين الأصل اللبناني والإقامة في جنيف والعمل على قضايا العالم الإسلامي تمثل نموذجاً للشبكة الشخصية الجامعة.³

¹ محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني: موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، القاهرة، دار الشروق، 1984، ص 240.

² عبد القادر زبّاد، المرجع السابق، ص 310.

³ كشكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، المصدر السابق، ص 70.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, featuring leaves and small flowers, framing the central text.

الفصل الثالث:

أثر الجامعة الإسلامية

على الحركات الإصلاحية والمقاومة

في المغرب العربي

الفصل الثالث: أثر الجامعة الإسلامية على الحركات الإصلاحية والمقاومة

المبحث الأول: الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية

أولاً: تأثير الفكر الإسلامي على الحركات المغاربية

01- الجذور الفكرية للإصلاح الإسلامي

ارتبطت الحركة الإصلاحية الإسلامية في المغرب العربي بصورة عضوية بالتيار

الإصلاحي المشرقي الكبير الذي أطلقه ثلاثة من أبرز مفكري الإسلام الحديث:

أ- جمال الدين الأفغاني 1838-1897م

وضع الأفغاني الأساس الفكري لحركة الإصلاح الإسلامي الحديث من خلال ثلاثة مبادئ

متكاملة:

- رفض التقليد الأعمى والدعوة إلى الاجتهاد.

- التأكيد على انسجام الإسلام مع العقل والعلم والتقدم.

- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية في مواجهة الاستعمار.

وقد وصلت أفكاره إلى المغرب العربي عبر تلاميذه ومجلة "العروة الوثقى" وكتاباته

المتداولة، فأثرت تأثيراً بالغاً في جيل المصلحين المغاربة الأول.¹

ب- الإمام محمد عبده 1849-1905م.

حوّل محمد عبده خطاب الإصلاح من المستوى السياسي التحريضي الذي مثله

الأفغاني إلى مستوى التجديد الفقهي والتعليمي المنهجي. وقد أسهمت أفكاره حول إصلاح

¹ محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني: موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، القاهرة، دار الشروق، 1984، ص 200.

التعليم الديني والاجتهاد في مسائل العصر ومقاصد الشريعة في تزويد المصلحين المغاربة ببرنامج إصلاحي واضح المعالم. وكان لفتاواه الإصلاحية ورسائله الفكرية أثر بالغ في الأوساط العلمية التونسية والجزائرية والمغربية.¹

ج- محمد رشيد رضا 1865-1935

كان رشيد رضا الناقل الأمين لأفكار أستاذه عبده والمطوّر لها في آنٍ واحد، ومجلته "المنار" كانت القناة الأوسع انتشاراً لوصول هذه الأفكار إلى المغرب العربي. وقد تميز رضا عن أستاذه بتأكيد أكبر على البعد السياسي للإصلاح والدفاع عن الخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية.²

02- تجليات التأثير الإصلاحي في المغرب العربي

- الجزائر أسهم الفكر الإصلاحي الإسلامي في تشكيل جيل جزائري جديد من العلماء والمتقنين سيقودُ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931) وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940) النموذج الاكمل لهذا التأثير إذ تشرب في رحلاته إلى تونس والحجاز أفكار الإصلاح الإسلامي، وأعاد صياغتها في مشروع إصلاحي جزائري خاص يجمع بين تجديد التعليم الديني وإحياء اللغة العربية والنهوض بالهوية الإسلامية للجزائريين.³

¹ محمد عبده، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، القاهرة، دار الشروق، 1993، ج1، ص 360.

² محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، القاهرة، دار المنار، 1931، ج1، ص 180

³ تركي رابح، المرجع السابق، ص 140.

- تونس جمع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) بين التكوين الزيتوني العريق والانفتاح على أفكار الإصلاح الإسلامي المشرقي، لينتج مشروعاً علمياً متكاملًا على إحياء علم مقاصد الشريعة بوصفه الأداة الأنجع للتجديد الفقهي. وقد رأى ابن عاشور أن إصلاح التعليم في الزيتونة هو المدخل الحقيقي لنهضة المجتمع التونسي والحفاظ على هويته في مواجهة الاستعمار.¹
- المغرب تمايز الأثر الإصلاحي بطابع خاص، إذ جمع بين مرجعية القرويين والتأثر بأفكار المشرق الإصلاحية والضغط الاستعماري المتصاعد. وقد انعكس هذا المزيج في بروز علماء أمثال محمد بن العربي العلوي وغيره ممن حاولوا التوفيق بين متطلبات الإصلاح ومقتضيات الحفاظ على المؤسسات التقليدية.²
- الطريقة السنوسية في ليبيا تمثل بحد ذاتها نموذجاً إصلاحياً متكاملًا سبق حركات الإصلاح الإسلامي الكلاسيكية وتقاطع معها في جوانب عدة. فقد قامت على مبادئ العودة إلى القرآن والسنة، ورفض البدعة، والجمع بين التعليم والعمل والجهاد، وهي مبادئ تتقاطع مع جوهر خطاب الإصلاح الإسلامي المشرقي.³

ثانياً: دور العلماء في نشر الوعي الوحدوي

اضطلع العلماء في المغرب العربي بدور محوري في نشر الوعي الوحدوي الإسلامي، وكان هذا الدور يمتد عبر مستويات متعددة.

¹ محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 150.

² عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 260.

³ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 85.

— **التعليم:** في المساجد والزوايا والمدارس الحرة التي كانت تُرسّخ الانتماء الإسلامي الجامع.

— **المراسلات العلمية** بين علماء تونس والجزائر والمغرب التي كانت تنقل الفتاوى والأفكار الإصلاحية عبر الحدود.

— **الإجازات العلمية** التي كان يمنحها العالم الكبير لتلاميذه مشيرةً إلى سلاسل علمية تربط المغرب العربي بالشرق الإسلامي.

— **التدريس المتبادل:** كانت الزيتونة تستقطب أساتذة من مصر والشام وتُرسل طلابها إلى الأزهر.¹

أدرك العلماء الإصلاحيون أن نشر الوعي الوحدوي الحقيقي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال بناء منظومة تعليمية موازية للمدرسة الاستعمارية. ومن هنا اتجهوا إلى تأسيس **مدارس حرة** تُدرّس العربية والعلوم الإسلامية وتُرسّخ الانتماء الإسلامي الجامع في نفوس الأجيال الجديدة. وقد كانت هذه المدارس في الجزائر وتونس والمغرب تعمل في ظروف صعبة تحت مراقبة الإدارات الاستعمارية، لكنها استطاعت أن تُخرّج أجيالاً حملت راية الإصلاح والمقاومة.²

¹ رمضان محمد صالح: "دعوة جمعية العلماء ونهجها الإصلاحي"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 07، جوان 2005، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ص 129.

² تركي رابح، المرجع السابق، ص 170.

المبحث الثاني - الجامعة الإسلامية ومقاومة الاستعمار

أولاً: دور فكرة الجامعة الإسلامية في تعبئة الشعوب المغاربية

01- آليات التعبئة الجامعة الإسلامية

- مفهوم الأمة الإسلامية الذي يؤكد أن المسلمين جميعهم ينتمون إلى جماعة واحدة تتجاوز الحدود الجغرافية والإثنية، وأن الاعتداء على أي جزء منها اعتداء على الكل.
- مفهوم الخلافة: بوصفها المؤسسة الجامعة التي تجسد وحدة الأمة وتقود دفاعها عن نفسها.
- مفهوم الجهاد: الذي يضيف على مقاومة الاستعمار صفة الواجب الديني لا مجرد الدفاع عن المصالح الدنيوية.
- مفهوم دار الإسلام: الذي يرى في وقوع البلاد الإسلامية تحت الاحتلال غير المسلم انتهاكاً شرعياً يوجب المقاومة.¹
- لم تكن التعبئة التي أطلقتها فكرة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي تتم عبر مؤسسات رسمية منظمة، بل كانت تسري عبر شبكات تواصل غير رسمية متعددة:
- المسجد والخطبة: كان خطيب المسجد يحتل مكانة محورية في التعبئة الشعبية، إذ كان يستخدم الخطبة الجمعة لنقل الأخبار وتفسيرها في ضوء الانتماء الإسلامي الجامع والحث على المقاومة.

¹ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، ط3، 1977، ص 320.

- مجالس العلم والزوايا :كانت هذه المجالس فضاءات للنقاش وتبادل الأفكار والأخبار بعيداً عن عين الإدارة الاستعمارية.

- رحلة الحج :كانت القوافل الحجازية التي تنطلق من بلدان المغرب العربي تحمل معها أخبار أحوال المسلمين في مختلف الأقطار وتعود محملة بتجارب تضامنية ووعي إسلامي مجدّد.¹

اضطلعت الصحافة العربية والأدب بدور محوري في تحويل فكرة الجامعة الإسلامية من خطاب نخبوي إلى وعي جماهيري:

- نشرت الصحف أخبار أحوال المسلمين في البلقان وآسيا وليبيا، مما كوّن لدى القارئ المغربي حساسية بالمصير المشترك.

- نظّم الشعراء قصائد في رثاء سقوط المدن الإسلامية والتحريض على مقاومة الاستعمار.

- استخدم الكتاب والمثقفون لغة الوجد الإسلامي المشترك لتوليد التضامن وتحريك المشاعر الجماهيرية.²

02- الحدود والتوترات في عملية التعبئة

لم تكن التعبئة التي أطلقها الجامعة الإسلامية في المغرب العربي خالية من التوترات والتعقيدات. فقد اصطدمت أحياناً بقوة الانتماءات القبلية والجهوية والعائلية التي كانت تسبق

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، المرجع السابق، ج1، ص 295.

² عمراني عبد القادر: "سياسة الاستعمار الفرنسي اتجاه الإسلام في الجزائر"، الشهاب، العدد 02، جوان 2007، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، ص151.

في التأثير الشعبي الانتماء الإسلامي الجامع. فكثيراً ما آثرت قبيلة ما حماية مصالحها المحلية على الانتظام في صفوف المقاومة الوطنية العامة، أو تعاونت مع المستعمر من باب التنافس القبلي مع قبائل أخرى.¹

كشفت تجربة هذه المرحلة عن هوة بين قدرة الخطاب الديني على التعبئة العاطفية-الشعبية وضعف التنظيم السياسي والعسكري القادر على تحويل هذه التعبئة إلى فعل استراتيجي مستدام. فكثيراً ما اندلعت انتفاضات شعبية حماسية ثم خمدت سريعاً بفعل ضعف القيادة والتنسيق ونقص الإمكانيات المادية في مواجهة قوات عسكرية منظمة وحديثة التسليح.²

أحدثت هزيمة الدولة العثمانية في الحروب البلقانية (1912-1913) وتوقيعها معاهدة أوشي (1912) التي تنازلت بموجبها عن ليبيا صدمة عميقة في الوجدان الشعبي المغربي الذي كان يرى في الدولة العثمانية حامية الإسلام وراية الجامعة الإسلامية. وقد أثارت هذه الهزيمة تساؤلات عميقة في أوساط النخب حول مدى واقعية هذه الفكرة وجدوى الرهان عليها، وعمقت شعور الخيبة من قدرة الدولة العثمانية على أداء دورها الجامع.³

وإن كانت فكرة الجامعة الإسلامية تطمح إلى تجاوز الانقسامات المذهبية، فإن بعض هذه الانقسامات كانت تُضعف التعبئة الجماهيرية في أحيان. ففي الجزائر مثلاً كانت ثمة توترات بين الزوايا الصوفية المختلفة (رحمانية، تيجانية، قادرية) وبين التيار الإصلاحي

¹ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 185.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 355.

³ عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 290.

السلفي الوافد من المشرق، وهو ما كان يُفرز أحياناً تنافساً على التأثير الجماهيري بدلاً من التوحد في مواجهة الاستعمار.¹

03- نتائج التعبئة ومحصلتها التاريخية

- أسهمت فكرة الجامعة الإسلامية في إطالة أمد المقاومة المسلحة في المغرب العربي وإضفاء الشرعية الدينية عليها، مما جعل إخضاع هذه البلدان أمراً أكثر كلفةً وأطول مدّةً مما توقّعه الاستعماريون الأوروبيون. وقد كلف الغزو الإيطالي لليبيا عشر سنوات من المقاومة الشرسة (1911-1921 وما بعدها)، فيما استغرقت "التهدئة" الفرنسية في المغرب ما يقارب عقدين من الزمن.²

- أسهمت التعبئة التي أطلقتها الجامعة الإسلامية في تجاوز الانتماءات الضيقة القبلية والجهوية والعائلية وبناء وعي جماعي أوسع جمع أبناء المناطق المتفرقة في هوية مشتركة. وقد كانت هذه العملية أحد المداخل الأساسية لنشأة الوطنية المغاربية، وإن كانت التعبئة الدينية في هذه المرحلة ستقضي لاحقاً إلى تنوع في المرجعيات (وطنية، إسلامية، عربية).³

- شكّلت التعبئة الجماهيرية التي أطلقتها الجامعة الإسلامية في الفترة 1900-1919 تراكمًا نضالياً وتجربةً تنظيميةً سيستفيد منها جيل ما بعد 1919 في بناء الحركات الوطنية المنظمة. فقد كانت مجالس العلم والزوايا والصحف التي جرّبت التعبئة خلال

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 235.

² محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 280.

³ عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 210.

هذه المرحلة تُرسي بنيةً تحتيةً للعمل الجماعي ستنتقل إلى الجمعيات والأحزاب السياسية في العقود التالية.¹

ثانياً: حدود تأثير الجامعة الإسلامية في الواقع السياسي

- كشف الواقع الميداني عن هوة عميقة بين قدرة الجامعة الإسلامية على تعبئة المشاعر الجماهيرية وعجزها عن تحويل هذه التعبئة إلى فعل سياسي استراتيجي منظم. فالحماس الشعبي الذي يشتعل سريعاً كان ينطفئ بنفس السرعة في غياب هياكل تنظيمية راسخة وقيادة موحدة وموارد مادية كافية.²
- واجهت حركات المقاومة المستندة إلى خطاب الجامعة الإسلامية جيوشاً أوروبية حديثة التسليح بتنظيم مؤسسي متكامل، في مقابل قوات تقليدية تفتقر إلى التجانس والتنسيق ووحدة القيادة. وقد كان هذا الاختلال البنيوي في موازين القوى يُقوّض أثر التعبئة الجماهيرية مهما بلغت حماسةً وواسعةً انتشاراً.³
- عطل الانقسام الداخلي للنخب المغاربية (بين المتعاونين مع الاستعمار والمقاومين له والمترددین) قدرة الجامعة الإسلامية على توحيد الجهود وتنسيق المقاومة. وكانت الإدارات الاستعمارية تُحسن استغلال هذه الانقسامات لإضعاف المقاومة وكسر تماسكها.⁴

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 385.

² طحطح خالد فواد: "نشأة الحركة الوطنية المغربية"، مجلة كان التاريخية، العدد 4، جويلية 2009، المغرب، ص 210.

³ محمد الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 275.

⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 390.

على الرغم من الرمزية الخلافية الكبيرة للدولة العثمانية، كان دعمها الفعلي للمقاومة في المغرب العربي محدوداً للغاية:

- تخلّت عن ليبيا بموجب معاهدة أوشي (1912) وتركت المقاومة دون سند رسمي.
 - لم تستطع منع الاستعمار الفرنسي للمغرب ولا الإيطالي لليبيا.
 - كانت مشغولة بأزماتها الداخلية وحروبها المتعددة بما يحول دون تقديم دعم فعّال.¹
- أثبتت التجربة الميدانية أن البنية القبلية والجهوية للمجتمعات المغاربية كانت في أحيان كثيرة تُعقّد مسار التعبئة الإسلامية الجامعة وتحول دون توحيد صفوف المقاومة؛ إذ آثرت بعض القبائل مصالحها الآنية أو تنافساتها مع القبائل الأخرى على الانتظام في صفوف المقاومة الوطنية العامة.²

ثالثاً: تراجع فكرة الجامعة الإسلامية بعد 1916م.

شكّلت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) المحطة الفاصلة في مسار فكرة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، وذلك بفعل جملة من المعطيات المتزامنة التي زعزعت أسسها وأضعفت بريقها:

حين أعلنت الدولة العثمانية الجهاد في نوفمبر 1914 ضد دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) وجّه هذا الإعلان النخب المغاربية نحو موقف مأزق حاد:

- من جهة، كان الولاء الديني للخلافة يدعو إلى الانحياز للموقف العثماني.

¹ أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، القاهرة، دار الشروق، ط3، 2003، ص 360.

² عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 275.

- من جهة أخرى، كانت الواقعية تفرض أن الدول الاستعمارية الغربية هي التي تسيطر على مقدرات مجتمعاتهم.

وقد أفرز هذا المأزق انقساماً في مواقف النخب بين من دعا إلى التضامن مع الخلافة ومن رأى أن الأولوية للمصالح المحلية والوطنية.¹

كان أشد الأحداث تأثيراً على مصداقية فكرة الجامعة الإسلامية الثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف الحسين بن علي شريف مكة في يونيو 1916 ضد الدولة العثمانية. فقد أحدث هذا الحدث صدمة عميقة في الوجدان الإسلامي المغربي؛ إذ كشف أن الوحدة الإسلامية المُنَادى بها ليست قادرة على تجاوز التناقضات القومية والمصالح السياسية حتى داخل صفوف العرب أنفسهم.²

تزامن مع تراجع مصداقية الجامعة الإسلامية صعود متصاعد للهويات الوطنية القطرية والقومية العربية في المشرق والمغرب على حدٍ سواء. فقد أصبحت الخطابات الوطنية المحددة (جزائرية، تونسية، مغربية، ليبية) أكثر واقعيةً وأقرب إلى الهموم اليومية للناس من الشعارات الجامعة البعيدة.³

إلغاء الخلافة مارس 1924م يقع بعد الفترة موضع الدراسة، فإن إرهاباته وبوادره بدأت تتكشف مع قيام الجمهورية التركية عام 1923 وانهايار المشروع العثماني كله. وقد

¹ عبد الرحمن الرافعي، الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي، القاهرة، دار المعارف، ط4، 1983، ص 340.

² سليمان موسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، عمان، لجنة تاريخ الأردن، 1992، ص 200.

³ ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص 120.

أحدث هذا الحدث الكبير صدمة عميقة في الوجدان المغربي وفتح نقاشاً واسعاً حول مستقبل الوحدة الإسلامية في غياب الخلافة.¹

شهدت المرحلة التي أعقبت 1916 تحولاً فكرياً ملموساً في خطاب النخب المغربية

- **تونس:** بدأت تتشكل ملامح خطاب الحزب الحر الدستوري (الديستور 1920) الذي يُركّز على الهوية الوطنية التونسية.

- **الجزائر:** برز خطاب الأمير خالد المطالب بحقوق الجزائريين مستنداً إلى مبادئ ولسون لا إلى الجامعة الإسلامية.

- **المغرب:** بدأت النخب الحضرية في رسم ملامح مشروع وطني مغربي يستوعب الهوية الإسلامية ضمن إطار وطني محدد.²

رغم تراجع فكرة الجامعة الإسلامية كمشروع سياسي عملي بعد 1916، فإنها لم تختف كلياً بل تحولت إلى مرجعية ثقافية وهوياتية بقيت حاضرة في خطاب الحركات الوطنية المغربية. فكل من الجمعيات الإصلاحية والأحزاب الوطنية التي نشأت في عقد العشرينيات والثلاثينيات كانت تحمل في برامجها بُعداً إسلامياً يعكس هذا الإرث الفكري الجامع.³

¹ محمد رشيد رضا، الخلافة أو الإمامة العظمى، القاهرة، مطبعة المنار، 1923، ص 80.

² عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، المرجع السابق، ص 230.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 420.

الخاتمة

الخاتمة

توصّلت هذه الدراسة التي تناولت موقف النخب المغاربية من فكرة الجامعة الإسلامية خلال الفترة 1900-1919 إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها في المحاور التالية:

- **على صعيد السياق التاريخي** وجد العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين نفسه في مواجهة أزمة حضارية شاملة تتضافر فيها أسباب داخلية (التخلف التعليمي والجمود الفكري والانقسامات الداخلية) وأسباب خارجية (الاستعمار الأوروبي وانهيار الدولة العثمانية). وقد جاءت فكرة الجامعة الإسلامية استجابةً لهذه الأزمة، توسّلت بالرابطة الدينية الإسلامية لبناء تضامن يواجه هذه التحديات.
- **على صعيد النخب المغاربية** أثبتت الدراسة أن النخب المغاربية لم تكن متجانسة في تعاملها مع فكرة الجامعة الإسلامية، بل انقسمت إلى أنماط متعددة تباينت في مرجعياتها وأساليبها ومساراتها. وقد كان هذا التنوع النخبوي انعكاساً طبيعياً للتعقيد البنوي للمجتمعات المغاربية وتباين ظروفها الاستعمارية من بلد إلى آخر.
- **على صعيد الأثر الإصلاحي** أسهمت الجامعة الإسلامية في تغذية الحركات الإصلاحية المغاربية بأفكار التجديد الفقهي وإصلاح التعليم والنهوض بالهوية الإسلامية، وشكّلت الأرضية الفكرية التي انطلقت منها الجمعيات الإصلاحية الكبرى التي ستؤسّس في عقد العشرينيات والثلاثينيات.
- **على صعيد المقاومة** نجحت فكرة الجامعة الإسلامية في تعبئة الجماهير المغاربية وإضفاء الشرعية الدينية على مقاومة الاستعمار وإطالة أمد هذه المقاومة. غير أن حدودها كانت واضحة في تحويل هذه التعبئة إلى قوة استراتيجية منظمة قادرة على قلب موازين القوى مع دول استعمارية كبرى ذات إمكانات عسكرية واقتصادية هائلة.
- **على صعيد المآل التاريخي** بدأت فكرة الجامعة الإسلامية تتراجع كمشروع سياسي عملي بعد 1916 بفعل أحداث متتالية (الثورة العربية، هزيمة الدولة العثمانية، إلغاء الخلافة)، لكنها لم تختفِ بل تحوّلت إلى مرجعية ثقافية وهوياتية ظلت حاضرة في

جوهر الحركات الوطنية المغاربية وأسهمت في تشكيل هويتها المزدوجة: وطنية في إطارها ومرجعياتها الدينية الإسلامية في عمقها.

الملاحق

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: رواد حركة الجامعة الإسلامية.



2 جمال الدين الأفغاني



1 محمد عبده



4 شكريب أرسلان



3 السلطان عبد الحميد الثاني



الشيخ محمد رشيد رضا

الملحق رقم 02: بعض الصحف المشرقية والجزائرية.



جريدة الفاروق¹



جريدة اللواء



جريدة ذو الفقار³



مجلة المنار²

الملحق رقم 03: زيارة محمد عبده للجزائر.

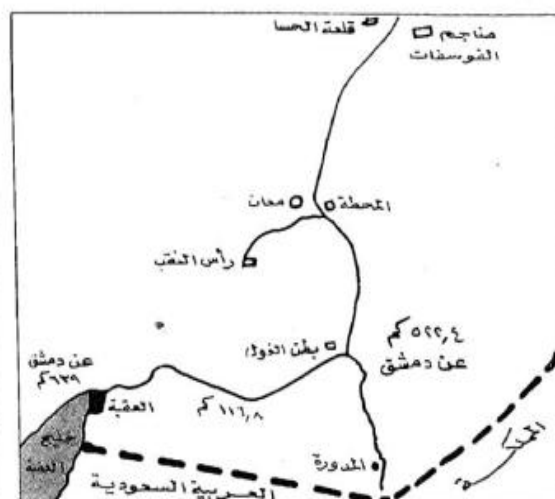
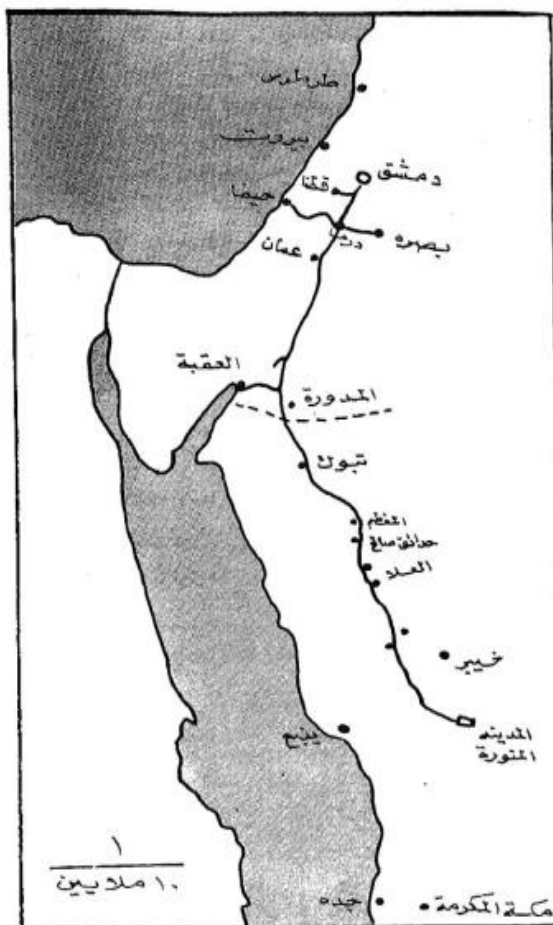


صورة أثرية لزيارة المصلح الإسلامي العظيم المرحوم الشيخ محمد عبده سنة 1903م
لمدينة الجزائر. وإلى جانبه العلامة الشيخ عبد الحليم بن سماية

الملحق رقم 04: مشروع سكة الحديد الحجاز للسلطان عبد الحميد الثاني.



إحدى محطات الخط الحجازي الذي أقيم لربط المدن الإسلامية بالديار المقدسة



الجزء الأردني من الخط الحدودي الحجازي
الذي جرت تقويته وتحديثه إلى العقبه

خط سير السكة الحديدية عبر مناطق ومدن الحجاز —

الخط الحديدي الحجازي وفروعه

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns in the corners and along the sides.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

أ- المصادر التراثية والمعاجم وكتب الحديث والتفسير

- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج7، دمشق: دار الرسالة، ط1، 2009.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991.
- محمد بن جرير الطبري، مختصر تفسير الطبري، الجزائر: مكتبة رحاب، ط2، 1987.

ب- المصادر الأصلية والكتابات المعاصرة

1. جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تح: صلاح الدين البستاني، القاهرة: دار الغرب، 1993.
2. جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج2، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.
3. سلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، تر وتح: محمد حرب عبد الحميد، القاهرة: دار القلم، ط2، 1991.
4. شكيب أرسلان، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عامًا، تع: مدحت يوسف السبع، القاهرة: دار الفضيلة، 2006.
5. شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1975.
6. الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، تونس: دار محمد علي الحامي، د.ط، د.ت.
7. عبد الرحمن الكواكبي، أم القرى، تقديم: السيد فراتي، القاهرة، 1431هـ.
8. عبد الرزاق أحمد السنهوري، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، تحقيق: توفيق محمد الشاوي ونادية عبد الرزاق السنهوري، بيروت: دار الرسالة ناشرون، ط4، 2000.
9. عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تونس: دار سحر للنشر، 2001.
10. علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم: بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.
11. محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، تر: عباس محمود، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955.

12. محمد الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، ط3، 1973.
13. محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1988.
14. محمد رشيد رضا، الخلافة أو الإمامة العظمى، القاهرة: مطبعة المنار، 1923.
15. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج1، القاهرة: دار المنار، 1931.
16. محمد رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم: وجيه كوثراني، بيروت: دار الطليعة، 1980.
17. محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، القاهرة: دار المنار للنشر، 2009.
18. محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق: محمد عمارة، ج1، القاهرة: دار الشروق، 1993.
19. محمد عبده، التأثير الإسلامي جمال الدين ورسالة الرد على الدهريين، باتنة: دار الشهاب للنشر والتوزيع، د.ت.
20. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط10، 2009.

ثانياً: المراجع

1- الكتب

1. أبو الحسن الندوي، المسلمون في الهند، بيروت: دار ابن كثير، 1999.
2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط5، 1992.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج1-ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1998.
4. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005.
5. أحمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ج2، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1963.
6. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، القاهرة: دار الشروق، ط3، 2003.
7. أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، بغداد: بيت الحكمة، 2003.
8. ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت: دار النهار للنشر، ط3، 1977.
9. أنطونيوس، جورج، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين، ط8، 1987.

10. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1981.
11. الحبيب بوعصيدة، الحركة الوطنية التونسية: الجذور والنشأة، تونس: دار محمد علي الحامي، 2006.
12. حسين مؤنس، الدولة العثمانية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 97، 1986.
13. خالد زيادة، المسلمون والحدثة الأوروبية، بيروت: دار الطليعة، 1997.
14. خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرنؤوط، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2002.
15. رأفت الشيخ، التاريخ المعاصر للأمة العربية والإسلامية، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1999.
16. رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، الزقازيق: معهد الدراسات الآسيوية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1994.
17. رأفت الشيخ، مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1988.
18. ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، تر: عبد السلام رضوان، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1985.
19. ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.
20. سليمان موسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، عمان: لجنة تاريخ الأردن، 1992.
21. سوسن النجار، السجل الأرسلائي، بيروت: الدار النقدية للنشر، ط1، 2009.
22. سيّار الجميل، العرب والأترك: الانبعاث والتحديث من العثمنة إلى العلمنة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
23. عبد الإله بلقزيز، الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2004.
24. عبد الرحمن الرافعي، الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي، القاهرة: دار المعارف، ط4، 1983.
25. عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ط5، 1989.
26. عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل: باعث الحركة الوطنية، القاهرة: دار المعارف، ط6، 1984.
27. عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980.
28. عبد القادر زبادية، الجامعة الإسلامية والتدخل الأجنبي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1988.

29. عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط4، 2011.
30. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج3، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط7، 2009.
31. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط10، 1990.
32. عزة قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1980.
33. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، بيروت: الأهلوية للنشر والتوزيع، 1983.
34. فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979.
35. لوثرروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تع: شكيب أرسلان، تر: عجاج نويهض، ج1، بيروت: دار الفكر، ط2، 1925.
36. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني: آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دمشق: دار القلم، ط3، 2000.
37. محمد ضياء الدين الرئيس، الإسلام والحضارة الإنسانية، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط4، 1965.
38. محمد طهاري، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، الجزائر: دار الأمة، ط1، 1999.
39. محمد علي الصلابي، عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، صيدا/بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.
40. محمد عمارة، إحياء الخلافة الإسلامية: حقيقة أم خيال؟، القاهرة: مكتبة الشروق، ط1، 2005.
41. محمد عمارة، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة: دار الشروق، 2002.
42. محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية: نموذج مصطفى كامل، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1994.
43. محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني: موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، القاهرة: دار الشروق، 1984.
44. محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني: المفترى عليه، القاهرة/بيروت: دار الشروق، ط1، 1984.

45. محمود أبو رية، نوابغ الفكر العربي: جمال الدين الأفغاني، مصر: دار المعارف، ط2، 1971.
46. محمود الشيخ، رجال الإصلاح، عمان: دار اليازوري للنشر، 2000.
47. نصوح صفال، الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.
48. هنري لوزيير، صناعة السلفية: الإصلاح الإسلامي في القرن العشرين، تر: أسامة عباس وعمرو بسيوني، بيروت: دار الروافد الثقافية، ط1، 2018.
49. وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.

2- المقالات والدوريات

1. أنطوان فلوري، «الحركة القومية العربية في جنيف ما بين الحربين»، تر: قاسم الزاهري، مجلة المناهل، العدد 23، الرباط، 9 جويلية 1982.
2. رمضان محمد صالح: "دعوة جمعية العلماء ونهجها الإصلاحي"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 07، جوان 2005، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر.
3. طحطح خالد فؤاد: "نشأة الحركة الوطنية المغربية"، مجلة كان التاريخية، العدد 4، جويلية 2009، المغرب.
4. عبد الرؤوف سنو: "السلطان عبد الحميد الثاني والعرب"، مجلة حوار العرب، العدد 05، 2005، بيروت.
5. عبد القادر محمد أحمد يحيى، «سكة حديد الحجاز: دراسة في الأبعاد السياسية والاقتصادية والعمرانية»، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1995.
6. عمراني عبد القادر: "سياسة الاستعمار الفرنسي اتجاه الإسلام في الجزائر"، الشهاب، العدد 02، جوان 2007، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر.
7. محمود قاسم، «الإصلاح بين الكواكبي والسنوسية»، مجلة الثقافة، العدد 95، الجزائر، سبتمبر/أكتوبر 1986.

3- الرسائل الجامعية

1. منى صالح: الجزائريون وحركة الجامعة الإسلامية (1876-1930)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر تحت إشراف الدكتور أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2015-2016.
2. فايد البشير: قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009-2010.

3. الصادق دهاش: ظهور وتطور فكرة الجامعة الإسلامية من الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، إشراف جمال قنان، جامعة الجزائر، الجزائر، 1999-2000.

4. هزشي بن جلول، الشيخ محمد رشيد رضا والدولة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، جامعة الجزائر، 2003-2004.

5. أمحمد دراوي: الجزائر والجامعة الإسلامية، 1876-1924 رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، إشراف مولود عويمر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008.

6. فاطمة الزهراء رحمانى، الجامعة الإسلامية بين السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس، المدية، الجزائر، 2015.

4- المواقع الالكترونية:

[/https://almojaded.com](https://almojaded.com)

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns in each corner, framing the central text.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

أ	مقدمة.....
8	الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي للجامعة الإسلامية.....
8	تمهيد.....
8	المبحث الأول: مفهوم النخب والجامعة الإسلامية.....
8	أولاً: مفهوم النخب.....
9	ثانياً: تعريف الجامعة الإسلامية ونشأتها الفكرية.....
13	ثالثاً: رواد الجامعة الإسلامية.....
21	رابعاً: أهداف ومبادئ الجامعة الإسلامية:.....
23	المبحث الثاني: السياق التاريخي والسياسي 1900-1919.....
23	أولاً: أوضاع العالم الإسلامي في مطلع القرن م20.....
27	ثانياً: سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في دعم الجامعة الإسلامية.....
37	الفصل الثاني: النخب المغربية وموقفها من الجامعة الإسلامية.....
37	المبحث الأول: طبيعة النخب المغربية.....
37	أولاً: النخب الدينية في المغرب العربي (1900-1919).....
41	ثانياً: النخب السياسية والإدارية في المغرب العربي 1900-1919.....
49	ثالثاً: النخب الثقافية والصحفية في المغرب العربي (1900-1919).....
55	المبحث الثاني: تفاعل النخب المغربية مع فكرة الجامعة الإسلامية.....
55	أولاً: مواقف التأيد والدعم.....
58	ثانياً: وسائل نشر فكرة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي.....
63	الفصل الثالث: أثر الجامعة الإسلامية على الحركات الإصلاحية والمقاومة.....
63	المبحث الأول: الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية.....
63	أولاً: تأثير الفكر الإصلاحي الإسلامي على الحركات المغربية.....
65	ثانياً: دور العلماء في نشر الوعي الوحدوي.....
67	المبحث الثاني- الجامعة الإسلامية ومقاومة الاستعمار.....
67	أولاً: دور فكرة الجامعة الإسلامية في تعبئة الشعوب المغربية.....
71	ثانياً: حدود تأثير الجامعة الإسلامية في الواقع السياسي.....

72.....	ثالثاً: تراجع فكرة الجامعة الإسلامية بعد 1916م
76.....	الخاتمة
79.....	قائمة الملاحق
84.....	قائمة المصادر والمراجع
91.....	فهرس المحتويات
93.....	ملخص الدراسة:

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة موضوع النخب المغاربية وموقفها من الجامعة الإسلامية خلال الفترة 1900-1919، من خلال بحث طبيعة تفاعل النخب في الجزائر وتونس والمغرب وليبيا مع هذه الفكرة في ظل التوسع الاستعماري الأوروبي وتراجع الدولة العثمانية. وتهدف الدراسة إلى بيان طبيعة النخب المغاربية، وتحديد مواقفها من الجامعة الإسلامية، والكشف عن أثر هذه الفكرة في الحركات الإصلاحية والمقاومة خلال مطلع القرن العشرين.

كما خلصت الدراسة إلى أن فكرة الجامعة الإسلامية كان لها أثر واضح في تنشيط الفكر الإصلاحي الإسلامي، وفي نشر الوعي الوحدوي، وفي تعبئة الشعوب المغاربية ضد الاستعمار، خاصة عبر العلماء والصحافة ومؤسسات التعليم والرحلات العلمية. غير أن هذا الأثر ظل محدوداً في المجال السياسي العملي بسبب اختلال موازين القوى، وتراجع الدور العثماني، وتنامي الاتجاهات الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى. وبذلك مثلت الجامعة الإسلامية عاملاً مهماً في تشكيل الوعي الإصلاحي والوطني في المغرب العربي، رغم تراجعها لاحقاً كمشروع سياسي جامع.

الكلمات المفتاحية: الجامعة الإسلامية، النخب المغاربية، المغرب العربي، الإصلاح الإسلامي، الاستعمار، الخلافة العثمانية، المقاومة، الحركة الوطنية.

Abstract

This study examines the topic of Maghrebi elites and their toward Pan-Islamism during the period 1900–1919, by analyzing the interaction of elites in Algeria, Tunisia, Morocco, and Libya with this idea in the context of expanding European colonialism and the decline of the Ottoman Empire. The study aims to identify the nature of Maghrebi elites, define their positions toward Pan-Islamism, and reveal the impact of this idea on reformist and resistance movements at the beginning of the twentieth century.

The study also concludes that Pan-Islamism had a clear impact on stimulating Islamic reformist thought, spreading unifying awareness, and mobilizing Maghrebi peoples against colonialism, especially through scholars, the press, educational institutions, and scholarly journeys. However, this influence remained limited in practical political terms because of the imbalance of power, the decline of the Ottoman role, and the rise of nationalist trends after World War I. Therefore, Pan-Islamism represented an important factor in shaping reformist and national consciousness in the Arab Maghreb, despite its later decline as a comprehensive political project.

Keywords: Pan-Islamism, Maghrebi elites, Arab Maghreb, Islamic reform, colonialism, Ottoman Caliphate, resistance, national movement.

الحمد لله